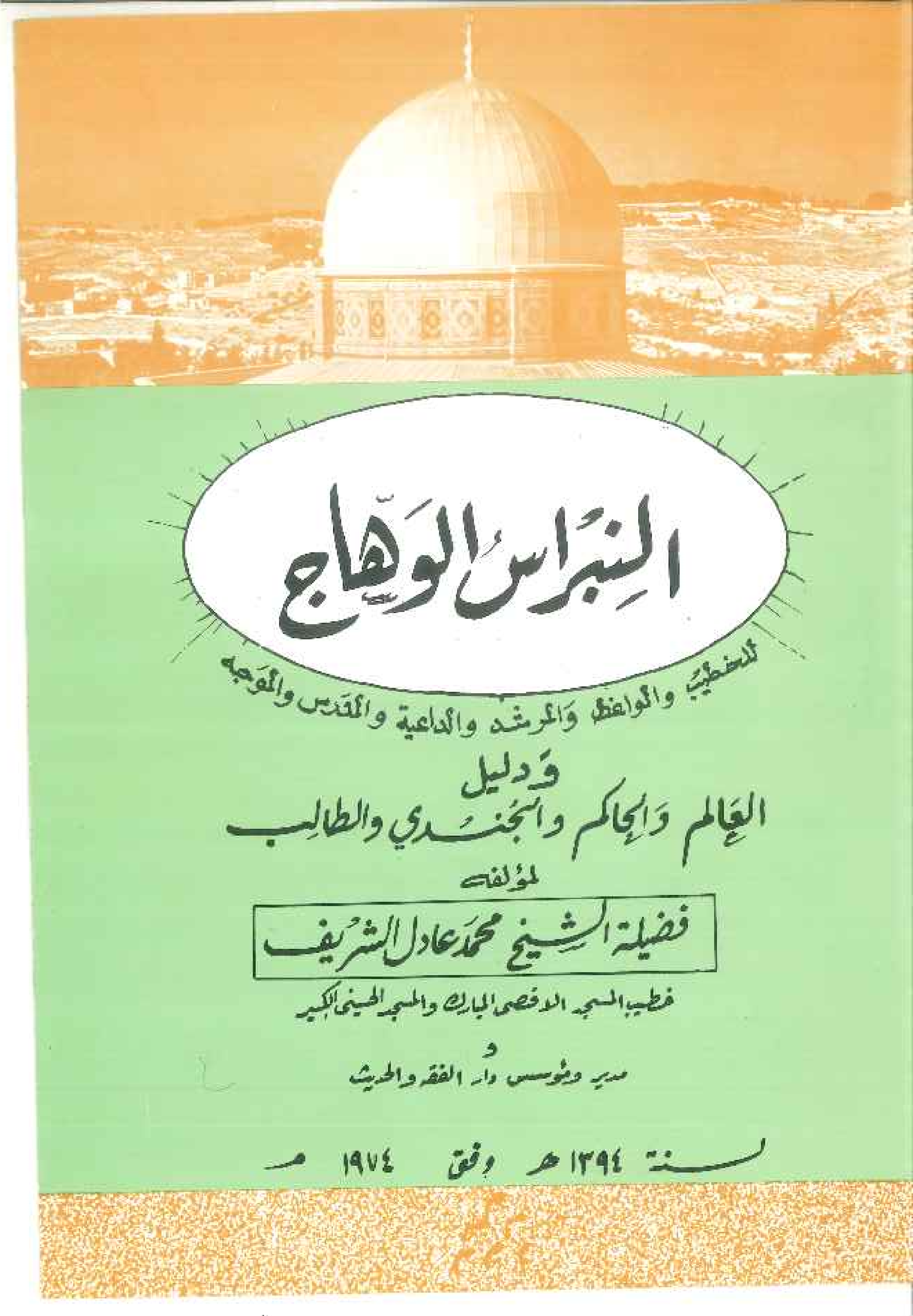

النبراس الوهاج
للخطيب والواعظ والمرشد والداعية والمدرس والموجه
ودليل
العالم والحاكم والجندي والطالب
لمؤلفه
فضيلة الشيخ محمد عادل الشريف
خطيب المسجد الاقصى المبارك والمسجد الحسيني الكبير
و
مدير ومؤسس دار الفقه والحديث
لسنة ١٣٩٤ هـ وفق ١٩٧٤ م

الإهداء



إلى أعز وأحب من ألفت في الحياة، إلى مهجتي كبدي
وساعدي وعضدي وأجنحتي إلى الشباب الجامعيين
الأشاوس ولدي عبد السلام ومحمد أمين وأخي الحبيب
الفاضل الشيخ محمد عزت:
إلى هؤلاء الثلاثة الشهداء الأبرار أقدم
هذا الإهداء لأنال من الله جل وعلا
شرف السبق في رسالة الإسلام
وشرف فضيلة الصبر الجميل
على ما أكره وبالله
المستعان.

تأمل في الوجود بعين فكر ... ترى الدنيا الدنية كالخيال
ومن فيها جميعاً سوف يفنى ... ويبقى وجه ربك ذو الجلال

المؤلف
محمد عادل الشريف الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

« المبحث الأول »

قال صلى الله عليه وسلم :

(المستشار مؤتمن)[1]

الحمد لله الذي رفع منازل العلماء المصلحين ، وأعلى كلمتهم في نفوس قوم مخلصين ، والصلاة والسلام على من أبلغ فرائض هذا الدين ، وسننه ، ودعا الى سبيل ربه بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وعلى آله وأصحابه الذين أخرجوا للناس في أحسن تقويم ، وأرشدوا الأمم بالحجة الباهرة المقنعة ، والأسلوب الحكيم ·

(رب اشرح لي صدري (٢٥) ويسر لي أمري (٢٦) ، واحلل عقدة من لساني (٢٧) يفقهوا قولي) (٢٨)[2] ·

الحمد لله ذي الفضل العظيم ، أمرنا بالتفقه في الدين ، ونهانا عن الجهل به والصلاة والسلام على رسوله القائل : (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)[3] وعلى آله وصحبه الذين استمسكوا بالعروة الوثقى ، لا انفصام لها ، فأعزهم الله بدينه القويم ، وعلى من تبعهم وسار على نهجهم السليم وورث علمهم بحق واحسان ، والعلماء ورثة الأنبياء والمرسلين وهكذا ورد عن المصلحين :

العلم ميراث النبي كذا أتى   في النص والعلما هم وراثه
ما خلف المختار غير حديثه   فينا فذاك متاعه وأثاثه

فأكرم بهم وارثا وموروثا · وبعد ، فان طلب الفقه والعلم في دين الله عبادات ، ومعاملات ، هو غاية الغايات ، وأشرف العادات ، وأجمل

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه ·

(٢) الآيات الأربع من سورة طه ·

(٣) رواه أحمد في مسنده متفق عليه عن معاوية ورواه أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه ·

ما يهتم به ، وأولى ما تضرب اليه أكباد الابل ، وقد ورد في ترجيح الاشتغال بالفقه في الدين على غيره من العبادات ، والنوافل آيات وأحاديث كثيرة ، وآثار بثيرة[٤] لا تحصى ولا تستقصى ، قال الله جل وعلا (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الألباب)[٥] وقال جلت عظمته (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات والله بما تعملون خبير)[٦] . وروى الشيخان عن معاوية رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، وانما أنا قاسم ، والله يعطي ، ولن تزال هذه الأمة قائمة على الحق (أمر الله) ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) أي حتى تقوم الساعة . وعن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه : (فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) . وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع)[٧] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)[٨] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه مثله وزاد (لكل شيء عماد ، وعماد هذا الدين الفقه ، وما عبد الله بأفضل من فقه في الدين)[٩] وورد في فضل العلم أيضا (كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح اذا نسب اليه ، وكفى بالجهل ذما أن يتبرأ منه من هو فيه)[١٠] .

بيان ذلك أن كثيرا من الناس من يدهن ، وينطلي بقشور من العلم لا لباب لها ، صورة مرئية أمام الناس ، فيدعي العلم ، ويتصدر للفتيا ،

---

(٤) البثير الكثير ، يقال كثير بثير .

(٥) آية ٩ من سورة الزمر .

(٦) آية ١١ من سورة المجادلة .

(٧) رواه البخاري ومسلم .

(٨) رواه الترمذي .

(٩) (١٠) راجع كتاب جامع بيان العلم وفضله .

وليس أهلا لذلك ، وعندما ينادي بلقب العالم ، أو يا فضيلة فلان . ويوصف بالعلم والمعرفة ، يكون فرحا مرتاحا طربا جذلا ، وهذا هو الجهل المركب بعينه ، لا من قبيل الجهل البسيط • وكثير من الناس من يكون جاهلا بالفعل ، فاذا ما قلت له : يا جاهل ! ثار عليك ، وغضب ، وتبرأ من الجهل الذي تسب اليه ، وهو يعلم نفسه أنه جاهل ، وهذا هو الجهل البسيط بعينه • وعن معاذ بن جبل ، رضي الله عنه (تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وقال أبو مسلم الخولاني (مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء ، اذا بدت للناس اهتدوا بها واذا خفيت عليهم تحيروا) • وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص ، رضي الله عنهما ، قال : (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا في المسجد مجلسان : مجلس يتفقهون فيه ، ومجلس يدعون الله ويسألونه ، فقال صلى الله عليه وسلم (كلا المجلسين الى خير • وفي رواية (على خير) ، أما هؤلاء فيدعون الله تعالى ، وأما هؤلاء فيتعلمون ، ويفقهون الجاهل : هؤلاء أفضل ، بالتعلم أرسلت ، وفي رواية ، بالعلم أرسلت ثم قعد معهم) • وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : (مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة) • وعن عبد الرحمن بن عوف ، رضي الله عنه قال : (يسير الفقه خير من كثير العبادة) وعن عطاء ، رضي الله عنه قال : (مجالس الفقه هي مجالس الحلال والحرام كيف تشتري وتبيع ؟ وهي مجالس التعليم والارشاد والتوجيه (كيف تصلي وتصوم ؟ كيف تخرج زكاة مالك ؟ كيف تحج ؟ وكيف تؤدي النسك ؟ كيف تتزوج وتعاشر زوجتك ؟ متى تطلق ؟ كيف صلتك بالأقربين ؟ وكيف تصاحب الناس ؟ ومن تختار لصحبتك ؟؟ كيف تصاحب ؟ ومتى تعادي ؟ ومن تعادي ؟؟ كيف تصاحب من أحب الله ووالاه ؟ وتعادي من حاد الله ورسوله وعاداه ؟ كيف تعادي من عادى دينك وأمتك ووطنك ؟؟؟ كيف تجاهد في سبيل الله لاعلاء كلمة الله ؟ ومتى يكون ذلك ؟ • عن أبي الدرداء رضي الله عنه : (ما نحن ومن نحن

لولا كلام الفقهاء ، ولولا جهودهم) ؟؟ • وعن أبي ذر ، وأبي هريرة ، رضي الله عنهما ، قالا : (باب من العلم يتعلمه أحب الينا من ألف ركعة تطوع)[١١] • وقالا رضي الله عنهما : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : (اذا جاء الموت طالب العلم وهو على تلك الحال مات وهو شهيد)[١٢] والذي ورد عن سيد البشر ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : (يشفع يوم القيامة الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء) وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : (لأن أعلم بابا من العلم في أمر أو نهي أحب الي من سبعين غزوة في سبيل الله) ، فالعلم أفضل من الجهاد في سبيل الله ، والحج للنساء جهاد لا قتال فيه ، لكن متى دهم العدو بلاد الاسلام ، فقد أصبح الجهاد فرض عين على الكبير والصغير ، والحاكم والمحكوم ، والذكر والأنثى ، والعالم والجاهل خشية أن يحتل بيضة الاسلام • وهأنت ذا ترى ماذا حل بالمسلمين لتركهم الجهاد ، اذ يقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم : (ما ترك قوم الجهاد الا ذلوا) ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه (مذاكرة العلم ساعة خير من قيام ليلة) • وعن الحسن البصري سيد التابعين ، رضي الله عنه ، قال : (لأن أتعلم بابا من العلم فأعلم مسلما أحب الي من أن تكون لي الدنيا كلها في سبيل الله تعالى) • وعن يحيى بن كثير : (دراسة العلم صلاة نافلة) وعن سفيان الثوري ، والامام الشافعي ، رضي الله عنهما : (ليس شيء بعد الفرائض أفضل عند الله من طلب العلم والفقه في دين الله) • وعن الامام أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه ، وقد قيل له : أي شيء أحب اليك ؟ قال : (أجلس بالليل أنسخ أو أصلي تطوعا) ، قال فنسخك مسألة تعلم بها أمر دينك أحب الي من أن أصلي تطوعا لا أعرف ما أصلي) • وعن مكحول ، والزهري رضي الله عنهما (ما عند الله بأفضل من الفقه أو بمثل الفقه) • وعن سعيد بن المسيب ، رضي الله عنه ، قال : (ليست عبادة بالصوم والصلاة ، ولكن بالفقه في دين الله) ، وعن اسحق بن

---

(١١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر •

(١٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر •

عبد الله بن أبي فروة : (أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم ، وأهل الفقه ، وأهل الجهاد في سبيل الله لاعلاء كلمة الله (ولا يقوم جهاد الا على أساس من العلم) • فالعلماء والفقهاء دلوا الناس على ما جاءت به الرسل ، وأهل الجهاد والحق جاهدوا على ما جاءت به الرسل •

فهذه نبذة بسيطة في ترجيح الاشتغال بالفقه والعلم على العبادة • وهذا بعض ما ورد في فضل الاشتغال بالعلم والفقه ، مع بيان المزايا الواردة في ذلك •

ما جاء في بعض الآثار عن قادة العلم المشهورين بالحفظ عن السلف رضي الله عنهم :

(ينجم[١٣] عن العلم الشرف وان كان صاحبه دنيئا ، وينجم عنه العز وان كان صاحبه مهينا ، والقرب وان كان صاحبه مقصا ، والغني وان كان فقيرا ، والنبل وان كان حقيرا ، والمهابة وان كان خفيفا وضيعا ، والسلامة وان كان سفيها ، (كل ذلك اذا تحققت صفة العلم في حامله) •

أما التغني بالألفاظ البعيدة عن مرامي العلم ومقاصده ، فليست من العلم في شيء • وفي الخبر (لا تطرحوا الدر تحت أرجل الخنازير ، ولا تضعوا الحكم في غير أهلها فتظلموهم) • وورد في الحديث (لا تعلموا أولاد السفلة ، بفتح السين وتشديدها وكسر الفاء ، يعني لا تعلموا العلم أبناء الأدنياء والسقاط من الناس • وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى أنه قال (كيف بكم اذا كان العلم في رذالتكم (أي سفلة) الناس والفاحشة في كباركم والملك في صغاركم)[١٤] •

---

(١٣) نجم الشيء ظهر وطلع بابه دخل يقال نجم السن والقرن والنبت اذا طلعت •

(١٤) ارجع الى كتاب جامع بيان العلم وفضله وكتاب من أخلاق العلماء وكتاب من صبر العلماء ،

وقال الامام الشافعي القرشي ، رضي الله عنه : (العلم أفضل من صلاة النافلة) . وقال : (من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه العلم) . يعني من أراد ظهورا وتقدما فعليه بطلب العلم . والظهور والترفع على الناس مذموم شرعا لقوله صلى الله عليه وسلم (لا يدخل الجنة من كان في قلبه خردلة من كبر) وفي رواية ذرة من كبر . ومن عرف قدره لم يتعد طوره .

فالريح تحطم ان هبت عواصفها   دوح الثمار وينجو الشيح والرتم[١٥]

يعني أن الانسان اذا تعالى على عباد الله قصمه الله ، اذ أن هبوب الرياح لا يؤثر ولا يقصف الا الأشجار الباسقة العالية . وقال الامام الشافعي نفسه (ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم) . وقال رضي الله عنه أيضا : (من لا يحب العلم والفقه فلا خير فيه) .

العلم مروءة من لا مروءة له وأدب من لا أدب له) وقال : (من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن تعلم الفقه نبل قدره ، ومن لم يعمل بما علم ، ولم يصن نفسه لم ينفعه علمه ، ولذا قيل :

علم العلم من أتاك لعلم   واغتنم ما حييت منه الدعاء
وليكن عندك الغني اذا ما   طلب العلم والفقير سواء

وقيل :

ما الفخر الا لأهل العلم أنهموا   على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه   والجاهلون لأهل العلم أعداء

هناك من يستخف بالفقه والفقهاء ، ويعيب عليهم التفقه في الدين ، فقيل في حقه :

---

(١٥) الرتم نوع من النبات القصير والجمع رتم . قال الشاعر :
هل ينفعك اليوم وان همت بهم   كثرة ما توصي وتعقاد الرتم

عاب التفقه قوم لا عقول لهم
وما عليه اذا عابوه من ضرر

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة
ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وهنا أسوق للقارىء بعض الأحاديث ، والحكم في فضل العلم ، والتفقه في الدين ، ليكون عملك مرتكزا على ميزان الشريعة ، أما اذا كنت تعمل بلا علم ، فأنت كحاطب ليل ، وكالراقم على الماء ، والذي يريد الاحتطاب في الليل لا يجد طلبته ، والذي يريد أن يكتب مسألة ما على الماء فلا يستطيع ، وكالنافخ في غير فحم ، والذي يعبد ربه على غير فقه ، فهو ثاو في ظلام دامس ، وليلة حالكة ، لا يدري الى أين يسير!!!. فلو أغفل العلماء الأخبار ، وتمييز الآثار ، وتركوا حجة كل نوع الى بابه ، وكل شكل من العلم الى شكله لبطلت الحكم ، وضاع العلم ، ودرس .

ان الله سبحانه يجعل لهذا الدين قوما وان قلوا ، يحفظون على الأمة أصوله ، وأصول الدين عقائده التي يرتكز عليها ، ويميزون فروعه . وفروعه هي الأحكام الشرعية المستنبطة من الكتاب والسنة ، فضلا من الله ونعمة ، ولا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم منه الآخر ، فان ذهاب العلم بذهاب العلماء ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)(١٦) . هذا ، وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : (انكم أصبحتم في زمان ، كثير فقهاؤه ، قليل خطباؤه ، قليل سائلوه ، كثير معطوه ، العمل

---

(١٦) رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما .

فيه خير من العلم ، وسيأتي على الناس زمان ، قليل فقهاؤه ، كثير خطباؤه ، قليل معطوه ، كثير سائلوه ، العلم فيه خير من العمل) • وقال عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه : (من عمل في غير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه) • وعن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه : (الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، الا ما كان فيها من ذكر الله ، وآوى الى ذكر ، والعالم والمتعلم شريكان في الأجر ، وفي رواية (في الخير) وسائر الناس (أي باقيهم) همج لا خير فيه) • هكذا رواه عبد الملك بن حبيب المصيص ، عن ابن المبارك ، عن ثور ، عن خالد بن معدان ، من قول أبي الدرداء ، وفي رواية ، وسند آخر مثله بزيادة بصيغة الجمع بدلا من صيغة الافراد (لا خير فيهم) • وروي عن علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، قال : (الناس ثلاث (أي ثلاث فرق) فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة (والخلاف معلوم في النسبة الى رب هل يقال : رباني أو ربي وقد جاء باللفظين) ومتعلم على سبيل نجاة ، والباقي همج رعاع أتباع كل ناعق • والناعق هو الذي يتزعم الناس بقول يجهر به صائحا • ومن عادة الناس أن يتبعوا كل صائح ، ولو كان على خطأ ، وهذا ما أضر بمصلحة أمتنا اليوم ، حيث لا يفرقون بين الغث وبين السمين • وقال أبو الدرداء ، رضي الله عنه ، من رأى الغدو والرواح الى العلم ليس بجهاد فقد نقص عقله ، وتعطل تفكيره ورأيه) • وقد روي عنه هذا بسند قوي : (ما من أحد يغدو الى المسجد لخير يتعلمه أو يعلمه ، الا كتب له أجر مجاهد لا ينقلب الا غانما) •

وفي حديث طويل بسند قوي ، عن زر بن حبيش ، قال : (رأيت صفوان بن عسال المرادي فقال : ما جاء بك ؟؟ قلت : ابتغاء العلم ، قال : فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : (من خرج من بيته ابتغاء العلم ، وضعت الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع) • رواه الترمذي ، وصححه ابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في

مستدركه ، وقال : صحيح الاسناد ، وجاء في رواية عن أبي يعقوب الصيدلاني المكي ، بسند قوي ، عن عبد الله بن الحراث بن جزء ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : (من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب) •

وما أجمل ما قاله الشافعي رحمه الله حول بث العلم ، ونشره في غير محله ولغير أهله :

أأنثر درا بين سائمة النعم
أم انظمه نظما لمهملة الغنم
ألم ترني ضيعت في شر بلدة
فلست مضيعا بينهم درر الكلم
فان يشفني الرحمن من طول ما أرى
وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
بثثت مفيدا واستفدت ودادهم
والا فمخزون لدي ومكتتم

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (كن عالما ، أو متعلما ، أو محبا ، أو مستمعا ، ولا تكن الخامسة فتهلك ، والخامسة : وهي الصفة الخامسة للمسلم ، ألا تكون مبغضا للعلماء لأن بغض العلماء العاملين وسيلة الى الهلاك ، وأعني بالعلماء العاملين الذين يصدق عليهم قوله تعالى (كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور)[١٧] • وفي رواية ، أن الصفة الخامسة هي التحذير من الجهل ، أي لا تكن جاهلا فتخسر الدنيا والآخرة •

---

(١٧) سورة فاطر آية ٢٨ •

ما هو واجب من لديه العلم ؟ :

هناك سند طويل فيه رواية قوية ، بسند قوي ، عن كثير بن مرة الحضرمي أنه قال لأحد سائليه (ان عليك في علمك حقا ، ألا تبذره في وجه غير مشروع ولا مقبول ، كما أن عليك حقا في علمك ، وهو ألا تحدث به غير أهله فتجهل ، ولا تمنع العلم أهله فتأثم ، ولا تحدث بالعلم عند السفهاء فيكذبوك ، ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك ، كما قيل :

اذا حملت الى سفيه حكمة   فلقد حملت بضاعة لا تنفق

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال (واضع العلم في غير أهله كمقلد الخنازير اللؤلؤ والذهب) . يروي لنا التاريخ بأنه كان فريق من العلماء ، ومنهم عبد الله بن مالك الأندلسي ، صاحب الألفية ، ينادي على أبواب المسجد ، ليعلم الناس ، ويفقههم ، ويرشدهم، وناهيك بابن مالك فضلا ، وعلما ، ومنزلة ، وقدرا ، أجل كان يقف بعد صلاة النهار ، أو بعد صلاة الليل ، ويقول : هل من راغب في العلم ؟ هل من سائل في طلبه ؟ هل من محب في احتفاء الملائكة به لدخول الجنة ؟ ورد في الحديث بأن طالب العلم اذا جاءه أجله وهو يطلب العلم مات شهيدا) .

لكن بعض طلابه قال يا سيدي لا تطرح علمك بين أرجل من لا يفقهون . أنظر الى مكانة العلم والعلماء وما ورد في فضله والمحافظة على كرامة العلم والعلماء .

في كتاب كشف الخفاء وفريد الالباس ما يلي (العلم يسعى اليه) قال الامام مالك رضي الله عنه قال في المقاصد (هو معنى قول الامام مالك (العلم أولى أن يوقر ويؤتى) .

قاله مالك للمهدي العباسي حين استدعى به لولديه ليسمعا منه ويروي بلفظ (العلم يزار ولا يزور ويؤتى ولا يأتي) وان مالكا قال لهرون الرشيد حين استدعاه ليعظه في مقره وفي لفظ أنه قال له (أدركت أهل العلم يؤتون ولا يأتون ، ثم قال له يا أمير المؤمنين ومنكم خرج العلم وأنتم أولى الناس باعظام[١٨] العلم ومن اعظامكم له ألا تدعوا حملته على أبوابكم) •

وقال مالك للرشيد حين التمس منه خلوة خاصة للقراءة ان العلم يا أمير المؤمنين اذا منع من العامة لأجل الخاصة لم تنتفع به الخاصة •

وكرر ذلك كله القاضي عياض في كتابه المدارك في ترجمة الامام مالك ونقل عن البخاري أنه قال : (العلم يؤتى ولا يأتي) •

« الدعوة والارشاد »

دليلنا هذا سيبحث عن العلل التي أصابت الأمم الاسلامية ، وقعدت بها في خمول وذهول ، حتى ضربت عليها الدول الاستعمارية بسلطانها الغاشم ، كان من نتيجة التفكير والبحث أسباب شتى ، اننا اذا ما تدبرنا هذه الأسباب ، وجدنا أبرز الأسباب منها يرجع الى تهاون هذه الأمم بتعاليم الشريعة الغراء ، ونفض أيديهم من المشاريع الحيوية التي عهدت اليهم ، ليقوموا بها على وجهها الأكمل ، فضعفوا والعلة في ضعف هممهم ، وتقاعسهم ، وقلة اقبالهم على ما أرشد اليه القرآن من وجوه الاصلاح ، ووسائل القوة والمنعة والعزة ، انما هي تقصيرهم في التوعية ، وعدم التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر الذي هو عصب الحياة ، واكسيرها[١٩] الخالص ، بل هي عدم استقامة زعمائهم على طريقة الدعوة والارشاد ، ليصل الانسان الى قمة المجد والفخار ، وعلى

(١٨) احترامه وتقديره وقيه القراءة الثانية (كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ••) برفع لفظ الجلالة وبالنصب اي يعظمهم ويدنيهم ويقربهم منه والتعظيم التبجيل والتفخيم •

(١٩) اكسير الشيء خالصه وخلاصته والاكسير مادة مركبة تحول المعدن الرخيص الى ذهب هكذا كانوا يظنون •

هذا فالاصلاح لا يتأتى للبشرية الا اذا كان نابعا من صميم القلب ، من صميم الشريعة الحقة ، والدأب على اصلاح أفراد معدودة ، لا يمكن أن ينهض بالأمة ، ولا بمجتمعاتها الا اذا كان الاصلاح عاما شاملا من القاعدة الى القمة .

هذا ما استثار همتي ، وهذا ما دعاني أن آخذ بعنان القلم يجره الى البحث في مشروع الدعوة الى اصلاح المجتمع المفكك العرى ، المقطع الأوصال ، لعله يبسط من حقائقه وآدابه جملا كافية ، ويملك بتأييد الله زمامه .

حاجتنا الى دعوة وتوعية :

في فطرة[٢٠] الانسان قوة يعقل بها طرق الصلاح والفساد ، ويفقه بها الحق من الباطل ، وملكة يقتدر بها على التعبير بما يجول في نفسه ويدور في خلده ، ولكن هذه القوة العاقلة ، لا تستقل وحدها بتمييز الغث من السمين ، ولا بتمييز المعروف من المنكر ، وليس من شأن هذه القوة أن تطلع على كل حقيقة ، ولا أن تدبر أعمال البشر على نظام لا عوج فيه ، فانها وان بلغت في الادراك ما بلغت فقد تنبو عن الحق ، ويغرب عنها وجه المصلحة ، ولا تهتدى الى عاقبة العمل ، وربما ألقت على الحسنة نظرة عجلى فتحسبها سيئة ، وقد يتراءى لها الشر في ثوب من الخير فتتلقاه بالقبول .

لقد تصدى رجال من أصحاب هـذه القـوى العاقلـة للبحث في نشأة الخليقة[٢١] ، فكانت عاقبة أمرهم ، ونتيجـة بحثهـم أن خروا سجدا للأحجار ، أو الكواكب ، أو الحيوان ، تصدى آخرون لانشاء نظـم اجتماعية ، فوضعوا ما يذهب بالجماعة في غير طريق ، ويكبو بها في

---

(٢٠) الفطرة الخلقة بكسر الخاء .

(٢١) الخليقة الخلائق يقال هم خليقة الله وهم خلق الله .

خسار ، وأمثلة هؤلاء مشهورة حديثا ، ومضروبة في كتب التاريخ قديما وليس القانون الذي يسبغ المقاتلة الشخصية (المبارزة) الا صنع نفس عريقة في الهمجية ، ووليد فكرة غير انسانية ، فليس القانون الذي يساعد الفتيات على اراقة ماء الحياة ، والعزة من وجوههن والزهد في صيانة أعراضهن ، الا وليد غباوة أصيلة ونفس خفت بها الشهوات من كل ضرب • أراد ذو عقل حصيف ، وتفكير رصين ، وهو الحجاج بن يوسف ـ معاقبة شخص على جريمة ارتكبها بعض ذوي قرابته ، فدافع عن نفسه بقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى)[٢٢] فما كان من الحجاج الا أن استمع للآية وارعوى عن ايقاع العقوبة به •

اذا وقف صاحب القوة العاقلة على وجه الخير أو الشر فقد يساوره الغضب أو تسيطر عليه اللذة ، فيترك الصالح أو يأتي المنكرات ، ولا يبالي بما يوقعه فيه التهاون بالصالحات ، أو ارتكاب المنكرات من شقاء بعيد ، وقد تخلص النفوس من تخبط الغضب ، أو ثورة النفس ، أو أسر الشهوات ، ثم لا يستطيع أصحابها البقاء ، دون أن ينشب بينهم نزاع ، فان المدارك تتفاوت اما بحسب فطرتها ، واما بالنظر الى استعدادها المكتسب من التجارب[٢٣] ، فترى الرجل يستحسن عين ما يستقبحه غيره ، بل النفس الواحدة قد يبدو لها الأمر حسنا في حال آخر ، فان لم يوافق غرضها في وقت آخر انقلب في رأيها شيئا نكرا ، وكثيرا ما يشتمل الأمر في الواقع وجهه الاثم والمنفعة ، فيريد أحدهم جلب منفعته فيسعى في تقريره ، ويرغب آخر في درء مفسدته فيلوي[٢٤] عنه صفحا •

---

(٢٢) آية ١٦٤ الأنعام •

(٢٣) التجارب بكسر الراء لا بضمها والاسم التجربة أيضا بكسر الراء من جمع التجارب كجمع المساجد ولا يقال تجارب بالضم كما أسمعه من كثير من المتعلمين •

(٢٤) يقال لوى رأسه وبرأسه كناية عن الاعراض وعدم الاهتمام •

ربما يشاهد الانسان حادثة ما تنزل بغيره فيقضي عليه برأي ، ولو عرضت في نفسه ، وأدرك مقدار تأثيرها ، لعاد الى الحكم عليها بأشد وأقسى مما قضى به أولا أو أدنى .

ولما كانت الأنظار تقصر ، والأهواء تتغلب ، والعقول تتفاوت وتختلف ، اشتدت حاجة الناس الى مصلح الهي ، يطلق نفوسهم من قيود الأوهام ، ويهديهم سواء السبيل الى فضاء نور الهداية ، الى ما فيه خيرهم واسعادهم ، وينذرهم عاقبة الانهماك والتوغل في الشهوات واللذائذ ، ويعلمهم كيف يتحامون الفتنة ، ويصلون الى الحقيقة ، اذا ما أختلفوا .

هذا وجه من حكمة بعثة المرسلين ، عليهم الصلاة والسلام ، وصعودهم بالناس الى مراقي السعادة واقامتهم القضاء على أسس عادلة ، فبهذه الدعوة الالهية لبست النفوس أدبا ضافيا صافيا ، وأخذ الاجماع سنة منتظمة ، وبصرت العقول بحقائق كانت غامضة ، واذا كان للشرائع السماوية مزية تقويم النفوس ، وانارة البصائر كما قيل :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق تستقم

ومزية فتح طرق الحكم فان نصيب الاسلام من هذه المزية أوفر وأجلى .

وما برح الناس ـ بعد انطواء عهد النبوة ـ في حاجة الى وارثيهم وناصحيهم وتلاميذهم ، في حاجة الى من يعلمهم اذا ما جهلوا ، ويذكرهم اذا ما نسوا ، ويجادلهم اذا ضلوا ، ويكف بأسهم اذا استبدوا ، واذا سهل على الداعية أن يعلم الجاهل ، ويذكر الناسي ، فان جدال النضال، وكف بأس المضل لا يستطيعهما ولا يقوى عليهما الا ذو بصيرة ،

وتؤدة ، وحكمة ، وبلاغة ، وبيان . أجل وما برحت العصور تلد من الضالين والمضللين المعاندين ، والمضلين والمناوئين المخادعين ، الذين لم تعجبهم دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا رسالته ، ولم تقبلها عقولهم،حتى ولا من ورثته،ولا يزال الجاحدون ينكرون رسالات السماء ورسالات المرسلين الأولين ، وما عاينوه ، وما أصابهم في سبيل ايقاظ الضمائر من غفلاتها ، لا يزال هؤلاء المعاندون يحاولون اثارة الفتن واطلاق النفوس من قيد الأدب والعفاف ، وفي كل عصر لا يفقد هؤلاء أولى عزم أيدين[٢٥] ، أولى بيـــان ، واخلاص ، يقرعونهـــم بالحجة ، ويهتكون الستار عن مكايدهم ، فيزهق باطلهم ، وترهق وجوههم قترة الخيبة والخذلان .

ولا تنس أيها المسلم ، أن المضللين المخادعين في هذا العصر ، قد تهيأ لهم من وسائل الدعاية مالم يتهيأ لأمثالهم الغابرين الذاهبين ، فمن نواد تفتح ، وصحف تنشر ، وجمعيات تعقد ، وأموال تنفق ، وجاه يبذل ، وولاة تمالىء وتستبد ، وهذا ما يجعل الدعوة الرشيدة من أفضل الواجبات ، وأحمد المساعي ، وهذا ما يقضي حكماء الأمة وقارهوها* ، وحذاقهـــا بأن يعدوا للدعوة مـــا استطاعوا مـــن قوة ، ومن قساة الأقلام ما يمكنهم من كسر شوكة هذه النفوس المتعجرفة ، المتعاظمة ، والآراء الفاسدة المعبأة ، والمحشوة بالغواية والشهوات ، قبل أن تبلغ غايتها ، وأمنيتها ، وقبل أن ينمو ويتكامل نباتها . وانما دوهمت بسبب الجهل ، وعدم صفاء البصيرة ، فوضعت بجانب حقائق الاسلام مـــا يتبرأ ويتنصل منـــه الاسلام ، ومـــن أيدي هؤلاء ظهرت البدع ، ومن ألسنتهم هبطت المزاعم والخرافات ، ومن آرائهم دخل في الكتاب والسنة ما ليس منهما ، بل ألصق بهما ضرب من سوء التأويل . ولا جرم أن حاجتنا الى تقويم أصحاب هذه البدع لا تقل عن حاجتنا الى

---

(٢٥) أيدين : أقوياء مفردها أيد كسيد وأيد بتشديد الياء .

* الفارِه الحاذق بالشيء فعطف وحذاقها على (فارهوها) عطف تفسير وجارية فرهاء أي حسناء .

انقاذ النفوس الزاكية من الوقوع في حبائل شياطين أولئك الذين يضلون عن سبيل الحياة القويمة الطيبة ، ويبغونها عوجا .

اذأ ما القصد من هذه المقدمة ؟؟

الجواب : الدعوة .

اذأ فما هي هذه الدعوة في نظر التشريع الاسلامي للدعوة تعاريف كثيرة ، وآثار مشهورة في حالة اطلاع هذا اللفظ ، ولكن الدعوة في مقام الوعظ والارشاد لها الأثر الكبير في فلاح الأمم ، وتسابقها في مضمار الحياة الزاهرة ، وهذا ما يجعلها في المكانة السامية في نظر الشارع الحكيم ، ولقد ألقى عليها الاسلام عناية شديدة ، وبسط عليها رواقة، فعهد الى الأمة بأن تقوم طائفة منها على الدعاء الى الخير ، واسداء النصيحة للأفراد والجماعات ، قال جلت حكمته (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)[٢٦] .

فالآية ناطقة بأن الدعاء الى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فريضة ملقاة على رقاب الأمة عامة ، لا تخلص من عهدتها حتى تؤديها طائفة على النحو الذي هو أبلغ أثرا في استجابة الدعوة ، وامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي . والدعوة الى الخير هي فرض كفاية كسائر فروض الكفاية ، وقد يتعين على ذوي العلم والمعرفة العالمين بحقيقته .

أجل الدعوة فرض من فروض الكفاية يوجه خطابها الى الأمة بقصد افهامهم واعلامهم . ومناط التكليف والالزام انما هو طائفة يتفق أهل الحل والعقد على تعيينها ، أو تتقدم اليه من تلقاء نفسها .

(٢٦) الآية ١٠٤ آل عمران .

لامعـــة :

اذا قلنا ان الخطاب بفرض الكفاية والاعلام به يتوجهان فانما نريد من الأمة (القادرين على القيام به خاصة) وهؤلاء هم الذين تحق عليهم كلمة العذاب ، حيث لا تنهض به طائفة منهم ، فلا جناح على من لا تستطيع الدعاء الى خير ، أو الدفاع عن حق اذا سكت المستطيعون اليه سبيلا ، ولو ضل قوم عن سبيل الخير ، أو جهلوا معروفا ، أو ركبوا منكرا ، وقامت طائفة تدعوهم ، أو تأمرهم ، أو تنهاهم بأسلوب ليس من شأنه التأثير على أمثالهم ، لبقيت هذه الفريضة ملزمة في أعناق نفوس الفئات الأخرى ، ويصوغوا ارشادهم وموعظتهم على الطراز الذي تألفه نفوس الطائفة التي يحاورونها وليست القدرة على الدعوة في قوتي الحجة والبيان وحدهما ، بل لا بد أن يكون معهما كل ما تتوقف عليه اقامة الدعوة ، كوسائل نشرها ، وتسجيلها ، وتعميقهافي بيئة نفقت فيها سوق الفسوق ، أو خفقت فيها ريح الالحاد ، فهذه الفئة الموعز اليها بالدعاية الى غير هدى ، وغير أدب ، قد ملكت لنشر باطلها وسائل أهمها الانفاق ، واذا وجب على الأمة أن تميط أذى هذه الدعايـة عن طريقها ، فخطاب هذا الواجب يتوجه الى الخطباء والكتاب والأدباء والنصحاء ، ثم الى كل من له شيء من القدرة على البذل ، والتضحية في سبيل الدعوة ، كفتح نواد علمية ذوات أجهزة عاملة ونفوس خيرة ، مؤمنة ، لالقاء المحاضرات ، وانشاء صحافة ، أو مساعدة مجلات دينية علمية صالحة ، وصحف مكافحة من أجل الدعوة ، تظاهر وتساعد الدعوة باخلاص وتقوم على احباط كل محاولة ، أو أي تدبير أو كيد يمس كرامة الدعوة ، أو يضعف سلطانها .

« منزلة الدعاة عند الله »

هذا كتاب الله بعد أن تصفحنا مواعظه ، وهداياته ، وارشاداته ، وحكمه ، وأحكامه ، ألفيناه[27] يرفع منزلة القائمين على خطة الوعظ

---

(٢٧) ألفاه : وجده .

والارشاد ، ومن آياته المحكمات قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[٢٨] •

فهأنت ذا ترى أن الآية تومىء الى أن المخاطبين بها يفضلون على سائر الأمم ، وانما نالوا هذه الأفضلية بمزية الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والايمان بالله ، ومن يرسل عنان النظر فيما يتجشمه الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر من أخطار ، وما يلاقونه من أذى ثم لا يلوون أعنتهم[٢٩] الى راحة ، ولا يحملون أنفسهم على مصانعة أو اغضاء ، يعرف أن هنالك بصائر ساحقة وعزائم متوقدة ، وهمما ينحط أمامها كل عظيم • أفلا يكون الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر خير أمة أخرجت للناس ؟؟؟

لقد نوه التنزيل بشأن المصلحين والهداة والمرشدين ، ثم ألحى باللائمة باللعنة على من آتاهم الله العلم والحكمة ، ولا يبسطون ألسنتهم ببيانها ، فقال تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)[٣٠] •

فالآية نزلت في وصف حال فريق من غير المسلمين ، ولكن حكمها ـ وهو استحقاق اللعن ـ لا يقف عند حدهم ، بل يسري حكمه على كل من حمل الرسالة السماوية من لدن رحمة ، أو قبض قبضة من أثر هدايته ، ثم أمسك عن تأديتها وبيانها ، والناس في جهالة أو حيرة يتخبطون • وكذلك يقول علماء الأصول : ان مقتبس الأحكام من الآيات لا يقتصر على سبب نزولها بل يمشي في تقرير معانيها على قدر ما يسعه عموم لفظها • واعلم يا أخي حامل رسالتك : أن الحقائق التي

---

(٢٨) الآية ١١٠ آل عمران •

(٢٩) مفردها عنان والعنان للفرس معنى ذلك تشبيه بلاغي •

(٣٠) آية ١٥٩ البقرة •

لا يسوغ كتمانها هي ما ينبيء عن العلم بها أثر في صحة اعتقاد أو أدب نفسي ، أو استقامة عمل ، فان كانت من قبل ما هو من ملح العلم[٣١] فلا حرج عليه في احتكارها[٣٢] عـن بيانها حكى الشيخ ابن عرفة في درس تفسيره بينما كان جالسا في درسه أنه دخل عـلى شيخه ابن الحباب وجعل ينظر في كتبه فمنعه أي منع شيخه من اكمال واتمام النظر فيها أي في كتبه فقال الشيخ لتلميذه للشيخ أن يمتاز عن طلبته بزيادات لا يخبرهم بها ، نعم ورد في مكان آخر أن هناك نصا ودليلا بما معناه لعن الله من نظر في كتاب أخيه بغير اذنه وبهذه المناسبة يؤسفني أن أذكر لكم ما عن[٣٣] لي أن وقع مثل هذا مع كثير من الاخوة والأصدقاء يعمد الى غرفة صديقه بحضوره وهو جالس بجانبه ويأتي الى المكتبة ويأخذ منها ما أراد دون اذن من صاحب المكتبة وهذا والله كثير بالنسبة الى الخاصة من الناس ولكن المسألة راجعة الى الذوق سامحنا الله جميعا بما يصدر منا . وقد شكا الي كثير من الاخوة عن هذه الناحية المؤثرة .

وعمد بعض الناس لعهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه الى قوله تعالى (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم)[٣٤] . فتأولـه رحمله على غير صواب ولما علم الصديق عنهم ذلك قام في الناس خطيبا وقال : (انكم تقرأون هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) وتضعونها في غير موضعها وتؤولونها تأويلا غير مصيب ، وانني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان الناس اذا رأوا المنكر ، ولم ينكروه ، وفي رواية اذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يده يوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده[٣٥] .

---

(٣١) ملح الشيء من باب ظرف وسهل أي حسن فهو ملح والملح بضم الميم وفتح اللام من الاخبار أي ما أختير منها وكان سارا .

(٣٢) احتكارها جمعها .

(٣٣) خطر ببالي .

(٣٤) سورة المائدة الآية ١٠٥ .

(٣٥) رواه أبو داود .

ولم ينقطع أثر ذلك التأويل الخاطىء ، فظل في أوهام بعض العامة الى هذا العهد ، حتى اذا أمرت أحد هؤلاء بمعروف أو نهيته عن منكر ألقى عليك الآية (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل) كالمستشهد بها على صحة قوله وعلى أنك قد تخطيت حدك وألقيت أمرك أو نهيك على عواهنه ورميت بكلامك في فضول .

ومنهم من يتلوها على قصد الاعتزاز وتبرئة جانبه من اللائمة متى شهد منكرا ولم يغيره بيده ، أو لسانه ، أو قلبه الذي من أمارات تغييره البعد عن مكان الواقعة المنكرة .

ومعنى الآية التي تطابق به غيرها من الآيات ، الآمرة بالدعوة : انكم اذا استقمتم كما أمرتم ، وقضيتم الواجبات التي من جملتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يضركم من اشتد به هواه وتطوح به في واد من الغواية[٣٦] .

ولا تقدر الدعوة الواجبة بعدد ، أو توزن بميزان ، أو تقدر بقدر من الزمن اذا قضاه الداعي بريئا من عهدتها وانما يرجع في ابلاغها واستئنافها مرة بعد أخرى الى أختها والداعي رجاؤه في تأثيرها وأخذها في نفوس المدعوين مأخذ القبول .

واذا دعا العالم طائفة الى اصلاح شأن من شؤونهم ، فعتوا عن أمره واستكبروا عن اجابة دعوته ، حتى أيس من اقبالهم على نصيحته، واستيقن عدم الفائدة من تذكيرهم ، خلصت ذمته ، ولا جناح عليه أن يقف عند هذه الغاية ، وحمل بعض المفسرين مفهوم الشرط في قوله تعالى (فذكر ان نفعت الذكرى)[٣٧] على مثل هذه الحالة .

(٣٦) الغي الضلال والخيبة وقد غوى يغوي غيا وغواية اذا ضل .

(٣٧) الآية ٩ الأعلى .

« بيان هذا التأويل »

انك اذا قمت بتذكير فرد أو جماعة أو قوم على الوجه الأكمل ، ولم ينتفعوا بالذكرى وتمادوا على غوايتهم ، فقد قضيت حق الدعوة ، ولا عليك في أن تصرف عنهم نظرك وتدعهم الى أيام الله ٠

ولا يقطع الداعي بعدم نفع الذكرى ، وضياعها كصرخة في واد أو صيحة في فلاة ، أو نفخ في غير فحم ، أو رقم على الماء ، الا اذا وجه هذه الآية وخاطب بها قوما منتفعين مرة بعد أخرى حتى سبر غورهم[٣٨] وعجم[٣٩] عيدانهم ، وكان على ثقة مما انطوت عليه نفوسهم من التقليد في الباطل ومحاكاة الخيالات والأوهام ، وانكار الحقيقة في أي صورة ظهرت ٠

أما من راض نفسه وعودها على النصيحة للغير ، ومن كان دأبه النصيحة العامة لخطباء المنابر وأرباب الصحف اذا كانوا قادرين على أداء الرسالة بحق فلا يحق لهم أن يهجروا الارشاد ، وان شهدوا قلة تأثيره في قوم بأعيانهم ، فما يدريهم أن تصادف نفوسا مستعدة للخير فتقودها الى سواء السبيل ٠ قال تعالى (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)[٤٠] ٠

فما سطع الايمان في قلب أو في نفس الا كانت كالبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، فابذر فيها من الحكمة والموعظة ما شئت أن تبذر ، فلا تريك الا نيات حسنة صالحة وأعمالا راضية مرضية ٠ وكثيرا ما ما يستخف الناس بالأمر تلقى له الخطبة ، أو تؤلف فيه المقالة ، فاذا تتابع الترغيب فيه أو التحذير منه ولو من المرشد الواحد أخذوا يعنون بشأنه ويتداعون الى العمل به أو الاقلاع عنه ٠

---

(٣٨) سبر غوره يعني سبر الجرح ينظر ما غوره وبابه نصر والمسبار ما يسبر به الجراح وهذا كناية عن الفحص والتأكيد ٠

(٣٩) العجم العض وعجم العود اذا عضه من باب نصر ليعلم صلابته من خوره وهذا كناية عن التأكد أيضا ٠

(٤٠) الآية ٥٥ الذاريات ٠

أنواع الدعوة

النوع الأول

الدعوة نوعان : دعوة يقصد بها انقاذ الناس من ضلالة أو شر واقع ، ودعوة يقصد بها تحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع في بأسه • أما الأولى فيتحتم القيام بها لأول وقت ممكن ، ويشير الى هذا الواجب قوله تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين)[41] فقوله «من أقصى المدينة» اظهار لعناية هذا الداعي ، وشدة رغبته في الاصلاح حيث لم يثنه بعد الشقة وطول المسافة عن السعي اليه مع العلم بأن رسالة الأنبياء ومن تبعهم الى قرون خلت كانت تؤدي سيرا على الأقدام وركوبا على متون الأنعام نعم للأنبياء والمرسلين حالات في امتطاء[42] «البراق الشريف» الذي أعد في خدمة الأنبياء والمرسلين •

نعم لم يؤخرهم بعد المسافة عن السعي اليه والوفاء بحقه • وقوله (يسعى) تذكرة لدعاة الاصلاح وايقاظ لهممهم كي ينفقوا في هذه الغاية وسعهم ويسارعوا الى النصيحة جهدهم ، لأن السعي في لسان العرب بمعنى العدو والمشي بسرعة •

« النوع الثاني من الدعوة »

وأما النوع الثاني من الدعوة فان كان مما ينشأ عن تأخيره حرج التحقق بالأمر الواقع ، ووجبت المبادرة الى الدعوة حسب الطاقة ، وان كان بينك وبين وقوعه فسحة جاز ارجاؤها وتأخيرها الى زمن الحاجة ، وما يقوله بعض أهل العلم من جواز السكوت عن العلم الى أن يسأل عنه انما يحمل على هذا النوع الذي لم يدع الحال الى معرفته في الوقت

---

(٤١) آية ٢٠ يس •

(٤٢) امتطى الحصان ركبه وفعله امتطى يمتطي •

الحاضر ، حكى القاضي عياض في كتاب (المدارك) أن سحنون وصاحبه عون بن يوسف وابن رشيد دخلوا على أسد بن الفرات ، فسألهم عن مسألة ، فابتدر لجوابه صاحبا سحنون وسكت سحنون ، فلما خرجوا قال له صاحباه : لم لم تتكلم بهذا ونحن عنده ؟؟ فقال : خشيت أن ندخل عليه ونحن أصدقاء ونخرج من عنده ونحن أعداء ، قال القاضي عياض : وسكت سحنون حين علم أن القضية لا يفوت أمرها ، ولو علم ذلك لبادر •

التعاون على القيام بالدعوة

ذكر بعض أهل العلم أن قيام الواحد بواجب الدعوة كاف ، واستدلوا على ذلك بقوله عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون[٤٢] وقالوا في وجه الاستشهاد : ان الطائفة في لسان العرب الواحد فما فوقه وهذا قول مستقيم بالنظر لابلاغ الأمر والنهي ، ووضح الحق بين أيدي الغافلين عنه • أما من حيث فعل الدعوة في النفوس ودخولها مدخل الاقتناع فمن البين بنفسه أن للدعوة التي تقوم بها الجماعة أثرا لا تبلغه دعوة الفرد وهذا طبعا يرجع الى حال المدعوين أو ما تتعلق به الدعوة أو ما يقصد من الدعوة •

أما النظر الى حال المدعوين فقد يغني العدد القليل في دعوة جماعة تتحد وتلتقي مشاربهم وتتشابه أحوالهم النفسية ، أما اذا اختلفت مشاربهم وتعددت أذواقهم ونزعاتهم فلكثرة القائمين بالدعوة وتظاهرهم عليها وقع في نفوسهم وأخذلها من بين تلك النزعات المتباينة والمسالك المتشعبة ، فان الدعاة اذا كثروا وتعددوا اختلفت أساليبهم في الدعوة غالبا ، وقد يبدو للداعي من وجوه تحسين الأمر أو التنفير منه مالا يخطر على بال آخر ، وان كان أغزر علما وأوسع نظرا ، وقد تخضع

---

(٤٢) الآية ١٢٢ التوبة •

النفس لأسلوب دون أسلوب ، وتهتدي بنوع من الجدل أو الموعظة أكثر مما تهتدي بغيره ولو كان أقرب دلالة بحكم المنطق وأوضح انتاجا.

وأما حال ما تتعلق به الدعوة فان الارشاد الى أحكام الدين العملية ـ مثلا ـ أيسر من اصلاح العقائد ووضع الايمان موضع الجحود بالله، فداعي المطمئنين بالايمان الى مثل الأحكام العملية انما يتلو قرآنا أو حديثا يقصد الى نقل النفوس من ملة الى ملة ، وتحويل النفوس من عقيدة الى أخرى يبلغ من الصعوبة أن يحتاج دعاته الى من يشد أزرهم في ابلاغ الحجة أو مطاردة الشبهة ، وكذلك سأل موسى عليه السلام ربه أن يجعل أخاه هرون شريكا له في الرسالة والدعوة فقال (واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي أشدد به أزري[٤٤] وأشركه في أمري)[٤٥] وبعث عيسى عليه السلام الى أهل أنطاكية رجلين اثنين ليدعواهم الى الايمان فقابلوهما بعناد وتكذيب ، فأضاف اليهما ثالثا يؤيد بعثتهما ، قال تعالى (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون ، اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون)[٤٦] .

وأما حال ما يقصد من الدعوة فانك ترى رجالا انحرفت عن أدب الاسلام قلوبهم ، وساعدتهم الأيام على أن أصبحوا يسيطرون على بعض شعوبهم ، ويفسدون عليهم دنياهم وآخرتهم فيعتدون على أحكام دينهم، ويناصرون الأشخاص الذين يملأون أفواههم بالجهل على رسوله الأكرم، فاذا كان أولئك المنحرفون عن أدب الاسلام ممن لا يقبلون على الحق بعين باصرة ، أو لا ينقادون الى الحقائق المبصرة فلا يرجى من دعوتهم اصلاح نفوسهم فضلا عن اصلاح غيرهم ان الأمة التي تهتدي وتضطلع بمبادىء الاسلام لا تستطيع أن تبقى أمام انحراف وتعسف الآخرين

---

(٤٤) الأزر القوة وأزري ظهري .
(٤٥) الآيات من ٢٧ ـ ٣٢ طه .
(٤٦) الآية ١٤ يس .

مقبوضة الأيدي فالذين يرضون عن عبث هذه الأرواح غير الطيبة[٤٧] انما يغني في دعوتهم جماعة من زعماء الأمة لا يحوم على ألسنتهم قلق ولا نفاق ولا يشترون متاع هذه الحياة الدنيا بكتمان ما أوتوا من حكمة ، فيوقظونهم من غرورهم ويرونهم أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

أما صوت الواحد ونحوه فانما يلقى منهم آذان الصم الذين لا يفقهون .

نعم تفيد كثرة الدعاة عند اتحادهم وقصدهم الى اقامة المصالح ونصرة الحقيقة في نفسها ، وبذلك أوصى النبي صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل حين بعثهما الى اليمن : قال لهما (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا) وهذا الشرط يشعرنا بهذا التعبير عن الدعاة باسم (الأمة) دون (القوم) في قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)[٤٨] .

قال القفال على قول أنه من جملة المفسرين (الأمة القوم المجتمعون على الشيء الواحد يقتدى بعضهم ببعض ، مأخوذ من الائتمام وهو الوجه في ايثار التعبير به أيضا في آية (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)[٤٩] فان لفظة «القوم» يطلق في اللسان العربي على عدد أقل مما يطلق عليه لفظ «الأمة» وهو من هاته الجهة أنسب بدعاة الاصلاح لقلة عددهم ، ولفظ الأمة أليق بسائر الأفراد لكثرتهم ، ولكنه اختير للدعاة اسم «الأمة» لأن اشعاره بمعنى اتحادهم وتآلفهم أقوى مما يشعر به لفظ القوم ويطلق القوم على الرجال دون النساء .

---

(٤٧) تكون غير أحيانا نكرة ومعرفة فيقال : غير الطيبة والغير الطيبة كما قال في المفصل لابن يعيش الثلاثة الدراهم ارجع اليه .

(٤٨) آية ١٠٤ آل عمران .

(٤٩) آية ١٥٩ الاعراف .

ومنه قول الشاعر :

وما أدري ولست اخال أدري   أقــوم آل حصن أم نســاء

اذا فالقرآن يرشدنا الى أن يكون دعاة الاصلاح جماعة ، وأن يكون أدب هذه الجماعة الاتحاد والتعاضد ، ومن الواجب صرف الهمة الى مشروع الدعوة حتى تقام على أساس ونظام يحفظ الحقائق والمصالح ، أما بقاؤها مطروحــة الى داعية الأفراد فقــد يفضي بهــا الى ضياع محتوم(٥٠) ٠

من هم الأفراد الذين يقومون بدعوة الناس ؟؟

هل الدعوة قاصرة على أهل العلم والمعرفة ؟؟

الاسلام أطلق في أمر الدعوة فأعطى لكل انسان قادر على الأمــر بالمعروف والنهي عن المنكر الحق في ذلك ، حتى أذن لأقل الناس منزلة ومكانة أن يصعد الى مقام الأمير الأعلى ويجاهره بالنصيحــة وطلــب الاصلاح ٠ وقد كان الفرد من باقي الناس يأمر الولاة في عهد السلف وينهاهم ٠

روى البخاري في جامعه الصحيح عن طارق بن شهاب ، قال : أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان ، فقام اليه رجل مــن عامة الناس لكنه فقيه في دينه فقال (يا مروان) الصلاة قبل الخطبة ٠ فقال : قد ترك ما هنالك ، قال أبو سعيد الخدري : أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان)(٥١) ٠

---

(٥٠) فعله حتم يحتم من باب ضرب حتم فهو محتوم وكثير من قادة الفكر وغيرهم يقولون الأمر يحتم علينا بضم الياء وكسر التاء غير مشددة مع أنها كيضرب ٠

(٥١) رواه مسلم ٠

وجاء في حديث آخر روي في الصحيح أيضا أن أبا سعيد هو الذي جذب بيد مروان ــ حين رآه يصعد المنبر ــ فرد عليه مروان بمثل ما رد به على ذلك الرجل • ولعلهما قضيتان كما قال شارحو الحديث : احداهما وقعت لأبي سعيد ، والأخرى كانت بحضرته •

ويضاهي هذا ويقرب منه ما روى مسلم في صحيحه عن كعب بن عجرة أنه دخل المسجد وعبد الرحمن بن أم الحكم يخطب قاعدا ، فقال أنظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعدا ، وقد قال الله تعالى (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما)[٥٢] • واعتبروا بعد هذا في قوله تعالى (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)[٥٣] وقوله تعالى : (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه)[٥٤] •

فالتعبير بالتناهي والتواصي اللذين هما من صيغة التفاعل يدل على تبادل الوصاية والتناوب في النهي عن المنكر ، ويشير هذا التعبير الى أن الشخص الذي يوصي آخر بحق أو ينهاه عن منكر لا يعلو به قدره عن طاعة ذلك الموصي المنهي اذا دعاه الى صالح أو الى النزوع عن باطل •

ويجري على هذا الباب أن الفقهاء يطلقون للخصوم أن يخاطبوا القاضي ويردوا عليه ان جار في حكم بنحو (اتق الله) أو (اذكر الله) أو (راقب الله) ولم يعدوه من اللمز بقلة التقوى ، ولو أجرى على مثل هذا حكم الجفاء أو الطعن الذي يستحق به الخصم الأدب لاتخذه الحاكم المستبد ذريعة الى كف الرعية ، وسد أفواههم عن احضاره النصيحة ودعوته الى القيام بصالح الأعمال •

---

(٥٢) آية ١١ الجمعة •

(٥٣) الآية ٣ والعصر •

(٥٤) الآية ٧٩ المائدة •

يروى أن رجلا قال لعمر بن الخطاب في كلام دار بينهما (اتق الله) فأنكر عليه بعض الحاضرين من أصحابه وقال له (أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فقال له عمر : دعه فليقلها لي ، نعم ما قال ، لا خير فيكم اذا لم تقولوها ، ولا خير فينا اذا لم نقبلها ولكن للمصلح شروط فما هي شروطه ؟

ا ـ أن يكون على بينة تامة من حكم ما يأمر به أو ينهى عنه وقد أشير الى ذلك بقوله عز وجل (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)(٥٥) وقوله تعالى (أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)(٥٦) .

ب ـ أن يكون من أهل الدعوة والاصلاح والوجاهة وعنده من تأثير القول ما يجعل الناس متبعين له مقتدين بأقواله له .

« الناس في ادراك الحقائق مختلفون »

نعم الناس في درك الحقائق أربع طبقات :

١ ـ فمنهم من يشعر بوجه الحق فيستولي عليه نظرا وعلما ، وهذا في استطاعته اقامة الدلائل الصريحة ليهتدي بها المقتدون على أثره ولا خير في أمة ليس فيها أحد من أهل هاته الطبقة .

٢ ـ ومنهم من هو على عكس ذلك لم يبلغ في قوة الشعور وسرعة الخاطر أن يرجع الى الحق من تلقاء نفسه ولو ترك وشأنه وخلي سبيله لتمادى في جهالته ، لكنه يسمع أحيانا الى الكلمة تشير الى موضع الحق فيرمي ببصره اليه ويأخذ في اقامة الدلائل الموصلة الى معرفته .

٣ ـ بعض الناس لا ينتبه للحق بنفسه ، ولا يتمكن من اقامة الشواهد عليه لو أنبأته نبأ فيحتاج الى الارشاد والتنبيه والدلالة على

---

(٥٥) آية ١٢٥ النحل .

(٥٦) آية ١٠٨ يوسف .

الحق حتى يراه رأي العين الا أنه انطوى على فطرة سليمة ونظر صحيح ، فلا يمكن أن تنتزع منه ما عرفه من الحق وتغرس في مكانه جهلا أو ضلالا .

وفي الناس من يلقي زمامه الى أيدي الدعاة والمصلحين ويتقبل أقوالهم بقبول حسن ويتلقاها بالطاعة دون أن يكلفهم الدليل على صحة القضية أو الوجه في بيان حسن عمل ، وانما يعتمد في الاقتداء بهم على ما اشتهروا به من نحو العلم والاستقامة والصبر وكثرة التلاميذ والمريدين حولهم من أولي الأحلام الناضجة والألباب الراجحة .

هل يختص بواجب الدعوة أهل الطبقة العالية ؟ أو من كان أقل منها ؟؟

لا يختص بواجب الدعوة أهل الطبقة العالية وما يقرب منها ، فان من الحق ما يكون واضحا بنفسه أو بدليل متوافر ، بحيث لا يتأتى فيه نزاع ، ولا يحتاج الأمر فيه الى تقرير حجة أو ازالة شبهة كفريضة الصلاة ، وفضيلة العدل ، والعمل لتخليص الوطن من سيطرة الأجنبي، فأمثال هذه الحقوق انما يهملها مستطيع القيام بها لآفة سهو أو داعية هوى ــ فيحق لكل مسلم ــ وان كان من أهل الطبقة السفلى ــ أن يذكر فيها غيره ، ويوصيه بها ، وان كان من أهل الطبقة العليا .

وأما مالا تدركه العامة من الحقائق ويضطر الداعي الى أن يورد في بيانه الأدلة ويطارد الشبه ، فأمر الدعوة اليه من واجب العلماء وحقهم القادرين على تحرير بحثه وحسن التصرف في سوق أدلته .
لكنك اذا رأيت عالما متساهلا في الشريعة غير عامل بها نصحت له ونزلته منزلة الجاهل كما قيل :

وربما أجرى مجرى الجاهل	مخاطب ان كان غير عامل
كقولنا لعالم ذي غفلة	الذكر مفتاح لباب الحضرة

ولا يعتدون برأي مرشد الا اذا وثقوا بأمانته وأبصروا فيه صدق قوله مثالا حسنا لما ينصحهم به ٠

لقد تبرأ شعيب عليه الصلاة والسلام من مخالفة قومه الى ما حذرهم منه فقال (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه)(٥٧) ٠

وقد جاء في كثير من الآيات في فضل الدعوة ذكر صلاح الداعي في نفسه واستقامته في عمله : قال عز وجل (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا)(٥٨) وقال جل ذكره (هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم)*٠وجاء في التنزيل ما فيه تقريع وتعجب من حال الداعية الذي يلقي الموعظة ويبسط لسانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو يترك العمل به جانبا قال تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون؟)(٥٩) ٠

وفي هذه الآية دليل قاطع شاهد على أن من أرشد غيره الى صالح وأمر بمعروف ونهي عن منكر وهو قابض يده عنه أو حذره خائفا من وقوع مفسدة وهو لا يغادر موضعها فقد خالف مقتضى الحكم ودخل في قبيل الذين لا يعقلون يتوهم بعض الناس أن الدعوة الى احترام حقائق الاسلام وآدابه لا يصح صدورها الا من علماء الدين شريطة أن يكونوا من مصر أو تونس لما فيها من كعبتي العلم الأزهر الشريف وجامع الزيتونة ، ولربما ظن بعض من أعماهم الجهل أن الدعوة الى معرفة الاسلام انما هي شأن من شؤون علماء الدين ، وقد ترتب على هذا أن بعض من يدرس حقائق الاسلام وآدابه ويستطيع بيان حكمتها ودفع شبه المضلين عنها ، لا يهز في هذا الغرض قلما ولا يحرك به لسانا ، ثم لا ترى له من عذر عن هذا التقصير سوى أنه لم يكن من أصحاب العمائم أو أنه لم يكن من علماء المعاهد الدينية ، ان لم يلق اليك هذا

---

(٥٧) الآية ٨٨ هود ٠

(٥٨) الآية ٣٣ فصلت ٠

(٥٩) الآية ٤٤ البقرة ٠

* الآية (٧٦) من سورة النحل ٠

العذر بمقاله[٦٠] ذلك عليه بلسان حاله ، وقد عرف فريق من علماء الشرق أن الداعي الى مبادىء الاسلام خادم للانسانية ، عامل على انقاذ الشرق العربي من مخالب الاستعمار ، فوقفوا حياتهم أو جانبا منها على نشر محاسن الاسلام وافحام هذه الفئة المتهالكة على محاربته .

هل الدعوة الى الله تحتاج الى الاخلاص ؟
وكيف يكون ذلك ؟؟

الغاية من «الدعوة» صلاح العالم وانتظام شؤونه على منهج السيادة والسعادة فاذا ما وجه الداعي قصده الى هذا الغرض ، وأقامه نصب عينيه ، استقام على الطريق ، وقضى حياته في طمأنينة وسيرة راضية مرضية ، واذا ما انحرف عن هذا القصد السوي ولو قيد شعرة رأيته يضطرب كريشة في مهب الريح .

كريشة في مهب الريـح طائرة ... لا تستقر على حال مـن القلق

وقد حكى التنزيل في توجيهاته وارشاداته وفي مواعظه أن شعيبا عليه الصلاة والسلام قد برأ نفسه من الأغراض والأمراض في سبيل دعوته واصلاحه ، برأ نفسه أن تقصد غرضا من الدعوة سوى الاصلاح حين قال (ان أريد الا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقي الا بالله)[٦١] . ويرشدنا قوله جل وعلا (قل لا أسألكم عليه أجرا ان أجري الا عـلى الذي فطرني)[٦٢] وقوله عز من قائل (اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون)[٦٣] يشير ذلك الى أن تشوف وتطلع الداعي الى ما في أيدي القوم ولينال من وراء ارشاده عرضا دنيويا من حطام الدنيا ومتاع هذه الحياة الساخرة ، كل ذلك يعتبر قادحا في صدقه داخلا بالريبة في اخلاصه واستقامته .

---

(٦٠) أحد مصادر القول ومنها قال وقالون وقاله مقالة .

(٦١) الآية ٨٨ هود .

(٦٢) الآية ٥١ هود .

(٦٣) الآية ٢١ يس .

« صفات قادحة في الدعاة والمرشدين »

لا يدخل في زمرة المصلحين من يظهر بدعوة الغضب والانتصار للعدالة ، ويعلن البغضاء والحرب النفسية على من يروم انتهاك حرمة العدالة ، كذلك لا يدخل في زمرة المصلحين من يبصر قوما يمدون الى حقوق قائمة لكنهم يتباعدون عنها فاذا هو يبتسم لضعفهم مظهرا علائم الرضا والارتياح عن أعمالهم ، أو يشاركهم في اخفاء الحقيقة ولو بحثية[٦٤] من تراب •

فما الذي حمل هذا النوع على حب العمل بالحق والانتصار له أولا ، ثم ما الذي دعاه وبعثه على خذلانه ؟ والارتياح لازهاق روحه ثانيا ؟ اقامة الحق في الأولى تعود عليه بمصلحة خاصة ومنفعة محققة فكان من أشياعه وأعوانه ، واما اطفاء نوره في المرة الأخرى فانه لا يذهب بحظ من لذائذه فلم يأسف للقضاء عليه • وانك لا شك في مثل هذا النوع ولا أعتقد أن له أدنى معرفة ولا صلة بالدعوة والاخلاص ومن الناس أيها الداعي الى الخير ••• من يضمر في نفسه لبانة[٦٥] لا تصل اليها يده الا بمساعدة قومه وعشيرته فينصب اسم «الاصلاح» مشتركا لاستعطافهم والتفافهم حوله ، فاذا ضحك الاقبال في وجهه وحان قطاف أمنيته أعرض عن معاضدة سر العدالة وعرى أفراس الدعوة ورواحلها[٦٦] •

تهافت كثير من أصحاب الضمائر المعتلة على منصب الدعوة واجتهدوا في كتم سرائرهم بغاية ما يستطيعون ، وما لبثوا أن انكشف سرهم ، وافتضح أمرهم ، سنة الله في الذين يظهرون بغير ما يعلمون من أنفسهم ، وهذا ما يجعل أذكياء الناس يحترسون ويحتاطون ممن يخرج في زي

---

(٦٤) حثاق وجهه التراب من بابي عدا ورمى •

(٦٥) حاجه يقال قضيت لبانتي اي حاجتي •

(٦٦) في هذه الجملة استعارة فيها تشبيه التنحي والاعتزال عن الدعوة برجل ترك الافراس عارية من الرواحل •

مصلح أشد مما يحذرون المجاهر بارادة الحنث والفساد وفي الحكم (رب متستر بالصلاح أضر على الأمة من المتجاهر بالفسق) • فأخو العشيرة اذا ظهر للناس في ثوب الناصح الأمين انخدع لأقواله وزيفه(٦٧) أهل الغفلة والغباوة ، والتبس حاله على كثير من أهل اليقظة والنباهة فيجد سبلا مفتوحة ونفوسا متهيأة لقبول ما يدسه في خفي كلامه ويكنه تحت اسم الاصلاح من مقاصد سيئة ، فيكون كيده أقرب اصابة وأنفذ رمية من خطر المبارز لهم بالعداوة والعمل على شقائهم ، فان من يكشف لهم عن بطانة صدره لا يرميهم بالمكايد تحت ستار ، ولو رماهم بها في موارية(٦٨) لوجدوا من شعورهم بطويته ما يحملهم على سوء الظن به ، وينقذهم من الوقوع في حبائله •

وها نحن أولاء نرى الذين يصدون عن الاسلام من المخالفين له علانية لم ينالوا بين الأمم الاسلامية الا خيبة وخسارا والتمييز والفرق بين من وقف ينادي للاصلاح صادقا مخلصا وبين من لبس قميص المصلح على سبيل العارية ـ وذلك لدنيا يصيبها ، أو عرض مادي زائل يناله ، أو وجاهة يتباهى ويفتخر بها أو ليتقرب الى ذوي الوجاهة والمكانة والسلطان ، فهذا النوع انما تهدي اليه الفراسة المهذبة والاختبار الصحيح : فاذا أبصرنا داعيا ذا يسار ولم يظهر في طبيعته حرص على نماء ما بين يديه من المال ، أو قام يدعو فريقا ليس من دأبهم بسط أكفهم بصلة الدعاة ، فما كان لنا أن نرميه بتهمة القصد الى اصطياد ما في خزائن الناس من زينة هذه الحياة الدنيا •

والذي يدلنا على سلامة نيته من نحو احراز رياسة أو وجاهة أن ينشأ في بيت ماجد ويحوز في الشرف مكانة سامية ، فيقوم وهو يشعر بأن مجاراته ومسايرته للناس واعطاءه عما يشاهده منهم من العوج يزيد في اقبالهم عليه ويضع قلوبهم في برد الرضا عن سيرته ، فيعرض

---

(٦٧) درهم زيف وزائف رديء ويجمع على زيف وزيوف كفلس وفلوس •
(٦٨) مخادعة ودهاء ومخاتلة وفي الحديث (وان بايعتهم واربوك) •

عن مداجاتهم[٦٩] ومداراتهم ويناضلهم بالحجة البالغة ، ولا ينفك عنهم معرضا عليهم الحقيقة وهي في أعينهم وهم لها كارهون ٠

ومن شواهد طيب السريرة أن ينادي قومه للاصلاح سنين عديدة ، ويتمادى في سعيه المتواصل الى آخر رمق وآخر شوط من حياته دون أن يصل عزمه[٧٠] اعراضهم عنه وتباطؤهم عـن الاستجابة اليـه أو مقابلتهم لصنيعه بالكفران ٠

والشأن فيما انطوى صدره على سريرة غير طيبة أن يبتغي اليها الوسيلة ، فاذا أبطأت به ، ولم تضع عينه الا على خيبه آمل واخفاق مل العمل وصرف جهده الى وسيلة أخرى ٠

أما الذي يواصل سعيه وينفق معظم حياته في الدعوة الى الله فقد تصفه أحيانا بسلامة النية ، وارادة الخير لقومه ، ولكننا لا ننعته باسم (المصلح الداعية) الا اذا صفا منهجه واستقامت آراؤه ، فمن الدعاة من تطيب سريرته ، ويخلص قصده وانما يخونه قلة بضاعته في العلم أو قصور نظره عند قياس الأشياء بنظائرها وأشباهها ، أو اقتباس الفروع من أصولها ٠

« وسائل الدعوة وطرقها وأهميتها »

تؤدى الدعوة باللسان تارة ، وبالقلم تارة أخرى ولكل منهما مقام هو أحق به من الآخر ، فمن الدعاة من يسعده لسانه ويصفو تفكيره فيعبر عما في نفسه كيف شاء ويمسك القلم فلا يجده مطواعا ، ومـن الدعاة من اذا نطق وقع في عثرة لسانه ووقع في كبوة ، واذا كتب أبدع وأغرب ، وبلغ ببيان ما يجول في ضميره الأمد الأقصى والغاية القصوى فينبغي للداعي أن يبصر من نفسه ، ويعرف نفسه ورحم الله امرءا

(٦٩) ساتره بالعداوة ولم يبدها له ٠

(٧٠) فل الجيش هزمه وبابه رد فل يفل ٠

عرف قدره ولم يتعد طوره نعم ليكن حذرا يعرف نفسه من أي صنف هو ، فلا يعرض نفسه للائمات واللطمات ومن أشباه الدعاة من يتصدر لالقاء الدروس والخطب والحكم وهو خالي الوفاض لا رائحة للعلم عنده فهذا وأمثاله عليه أن يأخذ الناس بالطريق التي يركبها ذلولا على الجادة المستقيمة ومن حكمة الله ومزيد فضله على العلماء أن العامة أنفسهم يعرفون قيمة المتكلم بأذواقهم فان كان الداعي طلق اللسان بليغ القلم راعى في ارشاده حال المدعوين : فان الناس طبقات ، واذا استوى في نظر الطبقة المستنيرة الخطيب البارع ، والكاتب الفائق الناهض ، فان خطبه تكون أسرع وأقرب الى فهم العامة وانهض بهم الى ما تأمر أو تنهي ، ولشدة ما تؤثر الخطب في نفوسهم ، ترى الرئيس المستبد والحاكم الدكتاتوري يحنق[٧١] على الخطباء ويضيق صدره بهم أكثر مما يحنق على الكتاب ولا ريب أن الدعوة بالكتاب أوسع جولة وأخلد أثرا ، ومن فوائدها ارشاد من لا يمكنك ألا تصل فوك الى أذنه، ولا تصل دعوتك الى قلبه كما أن من فوائدها ارشاد المنحرفين عن السبيل مع البعد من ساحتهم ، والسلامة من أن يواجهك سفهاؤهم بالسخرية والأذى واللاذع من القول (موضع الخطابة به من الدين) ومكانتها اهتم الاسلام بالخطابة وعني بها ، فشرع الخطب لأيام الجمع والأعياد والاستسقاء والكسوف والخسوف وغيرها ليقوم الخطيب فيها بارشاد وتوجيه يراعي فيه حال الأمة ، فيقرع أسماعها بالموعظة الحسنة ويستنهضها للأعمال الكفيلة بعزها في الدنيا وسعادتها في الأخرى ذهل كثير من الخطباء عن هذه الحكمة ، فالتزموا لكل شيء خطبا معينة يسردونها سردا ولا ينظرون فيها الى ما يقتضيه حال الناس في التعليم أو التذكير .

وبصنيعهم هذا خرجوا بالخطب عن مقاصدها وغاياتها نعم خرجت عن كونها أداة اصلاح أو طريق الدعوة الى اصلاح .

---

(٧١) الحنق الغيظ والجمع حناق كحبال وقد حنق عليه من باب طرب فهو حنيق أي اغتاظ وكلمة دكتاتور غير عربية يراد منها الشدة والقسوة .

ولا يزيد في حسن الخطبة ونفعها الا أن تكون من انشاء الداعي نفسه اذا كانت لديه مادة علمية واسعة وملكة قوية غزيرة ، بل يكون نفعها أنفع وأبلغ لا سيما اذا استطاع أن يرتجلها ارتجالا ، اذ ان الأقوال التي ينتزع معناها بنفسه ، ويسبك عباراتها بطبعه وذوقه متصورا لواقعه وحاضريه لا ريب أنهـا تكون أبلـغ أثرا في نفوس السامعين ، وأملك لعواطفهم ، من أقوال صنعت من قبل فأخذ يحكي ألفاظها حرفا حرفا وجملة فجملة ، والأقوال المنشأة حال القائها تصدر عن انفعال نفسي ، وقوة ارادة فتنفذ الى نفس السامع بألفاظ جديدة وهيأة غير مصطنعة : ويمكنك أن تعرف مقدار انفعال الخطيب وقوة ارادته مما تشاهده في هيأته لظاهره من تبسم أو استعبار(٧٢) ، وعبوسة جبين أو طلاقته ، ورفع صوت أو خفضه ، الى أن يماثل هذا من الآثار التي لا تشاهدها على ظاهر الناقل أو المترجم لكلام غيره الا أن يتكلفها ٠

« كيف تكون خطيبا مرتجلا »

وتختلف طرق الدعوة ـ من حيث نوعية البحث ومبلغ الاستدلال ـ الى ما يفيد يقينا لا ريب فيه ، والى ما يفيد ظنا غالبا ٠ قال جل وعلا : (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن)(٧٣) فقد ذهب بعض أهل العلم الى أن المراد من الحكمة الحجة المفيدة لليقين ٠

ومن الموعظة الحسنة الأمارات الظنية والدلائل القطعية الاقناعية ، أما الجدل والمجادلة المنصوص عليهما في كتاب الله (وكان الانسان أكثر شيء جدلا)(٧٤) فالذي ورد في علم المنطق (الفلسفة) الذي وافق على

---

(٧٢) استعبرت عنه بكى ومنه قول بعضهم لا عبرة بعبرة مستعبر مالم تكن عبرة معتبر ٠

(٧٣) الآية ١٢٥ النحل ٠

(٧٤) الآية ٥٤ الكهف ٠

دراسته علماء الشريعة أن الجدل هو الدليل المؤلف والمركب من مقدمات مسلمة عند المعارض في ذلك ولقد فصل الامام الغزالي في كتاب (الاقتصاد) هذه الأنواع من الحجج ، وقسم المخاطبين الى ثلاث طبقات وعين لكل طبقة نوعا فقال :

والبرهان[٧٥] انما يخاطب به الأذكياء الواعون* ، والخطابة يخاطب بها العوام لأنهم لا يعرفون البرهان والجدل لا يخاطب به الا المعاندون في الاعتقاد لأنهم عن مذهبهم بالموعظة لا يرجعون هناك قوم يعترفون بالحق لكن لهم أهواء وأغراض تصدهم عن اتباع الحق ، فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل ٠

والدعوة بهذين الطريقين لمن قبل الحق ، أما من لم يقبل الحق فعليه أن يجادل بالتي هي أحسن ٠ والقرآن لا يحتج في مجادلته بمقدمة لمجرد تسلم الخصم لها ــ كما هي الطريقة الجدلية عند أهل المنطق وغيرهم ــ بل لقضايا والمقدمات التي تسلمها الناس ، وهي برهانية ، واقناعية ، وان كان بعضهم يسلمها وبعضهم ينازع فيها ذكر الدليل على صحتها ٠

والواقع أن القرآن لا يحتج الا بقاطع ، فان دعوته للناس كافة ، وهدايته للعقول : كبيرة كانت أو صغيرة ٠ ومن حكمته وهو يدعو البشر قاطبة أن يقيم على الحق أدلة لا تحوم عليها ريبة ، ولا تستطيع لها كبار الفلاسفة نقضا ٠ أما غيره من الدعاة الذين يقصدون الاصلاح طائفة معينة ، فلا جناح عليهم أن يسلكوا في الاستدلال على الحق ما يجعله مألوفا مقبولا عند المخاطبين ، وان لم يبلغ في قوة الدلالة أن يضع من طلاب اليقين موقع التسليم ٠

---

(٧٥) البرهان الحجة وقد برهن عليه أي أقام الحجة ٠

* فاعل يخاطب ، العوام نائب فاعل أو مفعول ليخاطب ٠

بيان ذلك :

العمل على انقاذ النفوس من أودية الغواية ، والاقبال بها على مطالع السعادة ، مسلك وعر وطريق شائك لا يجتازه ولا يمر منه على استقامة الا من بلغ في صناعة البيان وقوة الايمان أمدا بعيدا قاصيا •

لا يكفي في الدعوة الى الله أن يكون في يد القائم بها حجة أو موعظة يلقيها على مسامع المخاطبين على أي صورة شاء ، اذ ان المخاطبين يختلفون ذوقا ، وثقافة ، وفهما باختلاف الزمن والبيئة ، ومن المستحسن أن تصاغ دعوة كل طائفة في أدب يليق بأذواقها أو ثقافتها •

« ادراك فنون الدعوة »

الخبرة[٧٦] بما للطوائف من أحوال نفسية ، والقاء الدعوة في ثوبها الملائم المناسب لهذه الأحوال ، موكول الى ذكاء الداعي نفسه ورسوخه في فنون البلاغة وأدب اللسان • ولا يمنعنا من تذكير القارىء ببعض جمل نوردها ، كأمثلة للأدب الذي تخرج به الدعوة في خطاب بليغ •

من أدب الدعوة الرفق في القول ، الرفق بالسامعين واجتناب الكلمة الجافية ، فان الخطاب اللين قد يتألف النفوس القاسية الجاحدة ويدنيها من الرشد ، والاصغاء الى الحجة أو الموعظة •

قال جل ذكره في خطاب موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام (اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) ولقن موسى عليه الصلاة والسلام من القول اللين أحسن ما يخاطب به جبار يقول لقومه : (أنا ربكم الأعلى) ، فقال تعالى لموسى عليه السلام

(٧٦) خبره اذا بلاه وامتحنه خبرة من باب نصر يقال صدق الخبر بفتح الخاء الخبر بضمها •

(فقل هل لك الى أن تزكى[٧٧] ، وأهديك الى ربك فتخشى[٧٨] ويندرج في سلك أنواع الدعوة صرف الانكار الى غير معين كقوله صلى عليه وسلم في احدى خطبه في النكير على أهل بريرة وقد عرفهم بأعيانهم وأشخاصهم «ما بال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ؟» ومن هذا النوع ومن هذا القبيل في صفة الدعوة وعدم تعيين أشخاص بأعيانهم لئلا تتحرك الفتنة ويكثر القيل والقال من ذلك قوله صلوات الله وسلامه عليه «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ؟ فوالله اني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[٧٩] . وقال ما بال أقوام فعلوا كذا وكذا .

وشكا الى رسول الله عليه الصلاة والسلام رجل من سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه حين كان يطيل بهم الصلاة ، فاشتد غضبه ، ولكنه احتفظ بعادته الجميلة وطريقته المثلى في الدعوة الى الله فلم يجابه معاذا بغلظة ولا فظاظة على التعيين ، عمم في الموعظة وخطب الناس قائلا «أيها الناس انكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف فان فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة» . وذات مرة سمع بالتطويل في الصلاة من معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال له فيما بينه وبينه (أفتان أنت يا معاذ ؟) .

٣ ـ ومن أمثلة أدب الدعوة وهذا من المهمات الجديرة بالعناية أن يوجه الداعي الانكار الى نفسه وهو يعني بذلك السامع مخاطبا نفسه ماذا تريدين أيتها النفس أتريدين أن تستكبري وتتغطرسي فما هذه من خصال المؤمن وذلك كقوله تعالى فيما يقصه عن رجل يدعو الى الايمان بالله (ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون؟)[٨٠] فان أراد تقريع المخاطبين بالتدرج على طريق الالتفات فوجه الخطاب الى

---

(٧٧) (٧٨) الآيتان من سورة النازعات .

(٧٩) رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها .

(٨٠) آية ٢٢ يس .

نفسه (المتكلم) ثم انتقل بالالتفات من المتكلم الى الخطاب أراد تقريع المخاطبين بأسلوب حكيم علمي بارع عندما أعرضوا عن عبادة خالقهم ، وعكفوا على عبادة غير الله على عبادة مالا يغني عنهم شيئا ، فأورد الكلام في صورة الانكار على نفسه تلطفا في الخطاب واظهارا لخلوص النية في النصيحة ، حيث اختار لهم ما يختار لنفسه .

٤ ـ ومثل هذا الأدب بل ما يضاهيه أن يضع الداعي نفسه بمنزلة السائل المتطلب للحقيقة ، ويقيم الحجة في معرض الاسترشاد ، حتى تعلق بأذهان المخاطبين وتثبت في نفوسهم قبل أن يشعروا بغرضه فينصرفوا بقلوبهم عن الاصغاء اليه : كما فعل سيدنا ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم في محاجة قومه المشار اليها بقوله جلت عظمته (اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا : نعبد أصناما فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم اذ تدعون ؟ أو ينفعوكم أو يضرون ؟)[٨١] .

وقال تعالى في تعليم رسوله الأكرم صلى الله عليه وسلم كيف يدعو الى الحق (قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله ، وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)[٨٢] . فاذا لم يظهر الداعي أنه على بينة من أمره ، وألقى الكلام في هيأة المتردد الذي لا يتقن أن الهدى في جانبه ، كان كالمستعين برأي المخاطب في البحث عما هو حق ورشد ، فتنحل في قلب هذا المخاطب عقدة التعصب ، وربما طمع في مغالبة الداعي وأخذه الى مذهبه ، فيقبل على النظر بجد حتى يمر به الداعي على الآيات البينات ، فاذا هو ينظر الى الحق : فاما ايمانا بعد واما عنادا .

٥ ـ ومن لطف الدعوة أن تنادي المدعو بلقبه الشريف ، وتنعته (أي تصفه) بوصف من شأنه أن يبعث صاحبه على قبول الموعظة أو

---

(٨١) الآيات من ٧٠ ـ ٧٣ من سورة الشعراء .
(٨٢) الآية ٢٤ سبأ .

الانصاف في المجادلة . وهذا الأدب مقتبس من مثل قوله تعالى «يا أهل الكتاب» (يا أيها الذين آمنوا) ، (يا أولي الألباب) ، (يا أولي الأبصار) وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم (هرقل) ملك الروم في كتاب دعوته الى الاسلام بعظيم الروم كما هو صريح السيرة النبوية ، ويتأكد مثل هذا الأدب في موعظة الصغير للكبير والمرؤوس لرئيسه ، ولا سيما حيث تضرب على الدولة طبائع الدكتاتورية والاستبداد « الشدة والهيمنة » .

« من أساليب الدعاة في خطبهم »

قد يفتتح الخطيب (الداعي) للرؤساء خطابه بكلمة «ائذن لي ، أو اسمح لي ، أو اسمحوا لي» أو ما شابه ذلك والخطيب المؤمن لا يقول سيداتي سادتي تأييدا للمتملقين والمتزلفين(٨٣) . ان الداعية المخلص الأمين اذا عجز عن الاصلاح ورأى الحاكم اهتبل(٨٤) الفرصة وخاطبه بلطف وطلب اليه الاذن ليتمكن من الوصول الى نصحه ووعظه كما ورد عن ابن شريح عندما عاين الحيف والبغي واقمين في الناس في أهل مكة قال ابن شريح لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث والنجدات الى مكة : «ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولا» وذكر للأمير ما قاله وفاه به النبي المصلح والمرشد الهادي للأمة صلوات الله وسلامه عليه «ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما» ... الخ الحديث المعروف . فقال له عمرو بن سعيد : «نحن أعلم بحرمتها منك ، فقال له ابن شريح : اني كنت شاهدا (أي حاضرا) وكنت أنت غائبا وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ شاهدنا غائبنا» وقد أبلغتك فأنت وشأنك .

---

(٨٣) تزلف في كلامه تقرب وتقدم .

(٨٤) اهتبل اغتنم .

« اعتراض الناس على الدعاة »

بعض الناس ينكرون على من يرونه مبطلا في دعوته فيقابلونه بالغلظة والفظاظة يقابلونه بالتجريح والاغلاظ في القول لا سيما ذوي المبادىء الحزبية الهدامة* ، يرمونه باللعن والشتائم وربما كالوا له أنواعا من السباب والتهم وطريق الشتم والوصم طريق بذر الشقاق الذي نهينا عنه فقد كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ منه فيقول : اللهم اني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق • ولربما حمل الداعي المبطل في قوله على التعصب لرأيه أو هواه وقبض عليه باليمين والشمال •

وقال ابن قيس الرقيات :

أهرب بنفسك واستأنس بوحدتها
تلق السعود اذا ما كنت منفردا

ليت السباع لنا كانت مؤانسة
واننا لا نرى مما نرى أحدا

ان السباع لتهدا في مرابضها
والناس ليس بهاد شرهم أبدا

« ما هي فائدة السباب في الجدل والخصومة ؟ »

يعرف الكثير من الناس أن طريقة السباب في المجادلة انما يسلكها العاجز عن اقامة الحجج الدافعة ، اذ أنك لترى المقال الذي يحرر في سعة صدر وأدب مع المخالف يجد من القبول وشدة الأثر في نفوس القراء لمقاله مالا يجده المقال الذي يخالطه السفه والنزق والطيش والحماقة • كذلك ترى المستيقن أنه على حق ، مطمئن البال آمنا على مذهبه من صولة الباطل ، فينطق عن صبر وأناة وتخير للأقوال الصائبة النافعة •

---

* وفي رواية معاشرة من كتاب الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي •

أما من لم يكن على بصيرة من قوله ومذهبه في الحياة ، ولم يكن على بصيرة من رأيه أو عقيدته ، فانه ينزعج عند المجادلة والمحاجة ، ويطيش به الجدل حتى يعجز ويقذف بالسباب ويلفظ بالكلام دون أن يقيم له قيمة ووزنا ٠

هناك طائفة أي ثلة[٨٥] أصبحت كثيرة بعد أن كانت قليلة حين كان الوازع الديني مهيمنا على الناس ، وحينئذ كان دستور الاسلام مسيطرا وكابحا لجماح النفوس الجانحة أولئك القوم باعوا أنفسهم رخيصة بمتـع هـذه الحياة الدنيا ، واندفعوا لاغواء الأمـة والكيد لشريعتها وحياتها السياسية ، بجميع ما ملكوا من صفاقة وعناد وسوء طويه ٠

ولعل الناس يعذرونك حين تتصدى لكف بأس هؤلاء وردعهـم ، ويجري على لسانك أو قلمك أثناء جدالهم كلمة تتهكم بعقولهم ، أو تزدري آراءهم ، أو تنبه على مكر وغل وحقد انطوت عليه نفوسهم ٠ انك ان تهكمت بعقول هؤلاء أو ازدريت آراءهـم فانمـا تضعهـا في موضعها وتمس خيلاءهم وكبرياءهم بما يخفف من غلوائهـا ، وان رفعت الغطاء عن مكايدهم فانما تجادل قومـا يجعلون مكان المقالـة الصريحة رمزا ، ومكان الطعن غمزا ، ويلبسون أقوالهم المعبرة عـن آرائهم ترددا أو ريبا ٠

---

(٨٥) الطائفة من الشيء قطعة منه من الواحد فما فوقه الثلة الجماعة من الناس قال تعالى (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) ٠ من سورة الواقعة ٠

« السياسة العملية في الدعوة »

طرق أخرى من أدب اللسان

يراعيها الداعي ، ويأخذ

بها في الدعوة فيكون

لها في النفوس

المستعدة للخير

أثـر حميـد

اذا كان أدب الخطاب يقوم على البراعة في فنون البلاغة فان الطرق التي سنأتي عليها انما تقوم على نظر تطور في أحوال الجماعات أطوارا ودرس سنن الله في الخليقـة ، فعرف كيف يسوس النفوس الجامحـة ويردها الى سواء السبيل ٠

ان القلم لا يسهل عليه استقصاء ولا استيفاء الحديث عن هـذه الطرق ، ولا يسعه الا أن يضرب لها أمثلة وشواهد لتتجلى صورها واضحة للقارئين والناظرين وبعد ضرب هذه الأمثلة يترك الأمر الى ألمعية الشخص ونباهته وحذقه فذلك كله يتناول المعنى القليل فيجعله غزيرا وفير المعنى والمقاصد وذلك كله يتلقى القول مجملا فيفصله تفصيلا ٠

لاحقـة هامـة :

من الحكمة في الدعوة أن تخاطب بها الجاهـل أو الغافل في خلوة (أي فيما بينك وبينه) ابقاء للستر عليه ، ورغبة في حسن اصغائه اليك ، فان كثيرا من الناس من اذا ألقيت عليه النصيحة علانية أخذته العزة بالاثم وثنى عطفه عن الاستماع اليها والامتثال بها ٠

فاذا تصامم عن قبولها في خلوة ساغ لك أن تلقيها عليه على ملأ من الناس ، لعله يتألم فيزجر ويحذر سوء العاقبة ، فيعود الى سيرة نقية ، ويذكر كما يذكر أولو الألباب • قال تعالى في قصة نوح عليه الصلاة والسلام (قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا)[٨٦] الى أن قال (ثم اني دعوتهم جهارا)[٨٧] ، ثم اني أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا)[٨٨] •

ومن حكمة الجمع بين الاعلان والاسرار في الدعوة ازالة ما يقع في نفس المدعو من اتهام الداعي بأنه ما أراد من دعوته علانية الا تلويث عرضه واذاعة المنكر والباطل في حقه لتدنيس سيرته •

المطالب السامية في المجتمع وكيفية الدعوة اليها ؟

من حسن النظر أن تكون الدعوة الى المطالب العظيمة السامية بطريق الترقي وأسلوب السعي للمصلحة كأن يبتدىء المصلح بما هو أيسر طريقة وعملا ، أو أقرب الى المألوف والمقبول لدى الأمة ، أو أظهر حكمة وفائدة لعقولهم • وعلى هذه القاعدة وضع الاسلام سياسته الحكيمة • لو نظرنا الى التشريع الاسلامي لوجدنا أنه أمر بالصلاة وسكت عن الكلام في أثناء الصلاة ، ثم نهى عنه وجعله من مبطلاتها ، وأمر بالانفاق على وجه التطوع قربة الى الله تعالى وتوصلا لرضاه ، ثم شرع فريضة الزكاة ، ونبه على مفسدة الخمر بقوله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس ، واثمهما أكبر من نفعهما)[٨٩] ثم منع منها في حال الصلاة خاصة بأسلوب حكيم فقال (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون)[٩٠] ثم حرمها في كل حال تحريما لا هوادة فيها فقال (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم

---

(٨٦) الآية ٥ من نوح •

(٨٧) (٨٨) الآيات الثلاث من نفس السورة •

(٨٩) الآية ٢١٩ البقرة •

(٩٠) الآية ٤٢ النساء •

تفلحون)[٩١] • روي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين أنه قال : لو جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين وبالقرآن دفعة لثقلت هذه التكاليف علينا ، فما كنا ندخل في الاسلام ، ولكنه دعانا الى كلمة واحدة ، فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما وراءه كلمة بعد كلمة ، على سبيل الرفق ، الى أن أتم الله دينه وأكمل شريعته ، وورد عن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز أن ابنه عبد الملك قال لوالده : مالك يا والدي لا تنفذ الأمور (في حينها) ؟ فوالله لا أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق • فقال له الخليفة عمر : لا تعجل يا بني ، فان الله ذم الخمر مرتين ، وحرمها في الثالثة ، وانني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة واحدة فيدفعوه جملة واحدة وتكون من ذا فتنة • فقال عبد الملك لوالده العادل وفي ذلك الخير كل الخير •

كيف تدعو الى أمر فيه صعوبة ومشقة ؟

وكيف السبيل الى ذلك ؟

على الداعية أن يضع نصب عينيه تمهيدا يخفف وقعه على السامعين ويقلل شأنه ، حتى لا تكبره النفوس وترتخي دونه العزائم خورا •

مثال هذا ما سلكه التنزيل في التكاليف الشرعية وفي التكليف بفرضية الصيام حيث شرعه أولا في أمر مجمل فقال (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)[٩٢] وبين أن هذا الغرض من القربة قد فرض على الأمم السابقة فقال عز شأنه (كما كتب على الذين من قبلكم)[٩٣] فذلك عمل مألوف وشريعة غير خاصة ، وفي هذه التذكرة ما يدخله من قبيل السنن الجارية

---

(٩١) الآية ٩٠ المائدة •

(٩٢) الآية ١٨٢ البقرة •

(٩٣) الآية ١٨٣ نفس سورة البقرة •

ويجعله أمرا هينا ، ثم أشعرهم بأن أيامه في الحساب قليلة فقال تعالى (أياما معدودات)[٩٤] وبعد أن هيأ النفوس لقبول فريضته قال (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه)[٩٥] يعني بعد أن بين لهم حقيقة الصيام وفرضيته عليكم وعلى من قبلكم من الأمم وهون عليهم أيامه أمرهم بصيامه وقال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه)[٩٦] وهكذا جرى التنزيل على هذه السنة عند الترغيب في أمر صعب المركب ، شديد الأثر على النفس ، وهو الصبر على الأذى ومقابلة الاساءة بالاحسان ، فأمر بالعدل في المجازاة ، ونهى عن تجاوز المثل في العقوبة فقال (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) ثم بين في قوله جل شأنه (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) أن الأكمل لهم الاغضاء عن السيئة وترك المؤاخذة عليها فالصفح عن الأذى — مع القدرة على الانتقام نوع من مكارم الأخلاق ومظهر من مظاهر الرحمة حتى قال سبحانه (واصبر وما صبرك الا بالله)[٩٧] فرغب جلت حكمته في الصبر عند الأذى والألم بطريق أبلغ اذ وجه الخطاب به الى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وهو أسرع الناس الى الاستقامة على الطريق ، فيجدون من سنته التأسي به عليه الصلاة والسلام نشاطا للطاعة ، وباعثا على التجمل بالصبر ، وان ثقلت على النفوس وطأته .

ويقارب هذا النوع من السياسة أن يأخذ الداعي في تقرير المصالح بوجه عام حتى يأنس لها الناس ويتفقهوا في طرق الخير على سبيل الاجمال ، ثم يندبهم الى الأعمال المندرجة تحتها ببيان وتفصيل ، فان من السهل على البشر قبول القضايا الكلية ، وقلما نازعوا في صحتها . وأكثر ما يقع من الناس انكار الحقائق حتى لو كانت واضحة وضوح

---

(٩٤) الآية ١٨٤ من سورة البقرة .

(٩٥) الآية ١٨٥ البقرة .

(٩٦) نفس الآية والسورة .

(٩٧) الآية ١٢٧ النحل .

الشمس في رائعة* النهار فأكثر ما يقع منهم الانكار والاختلاف في المسائل الجزئية وأحكام النوازل المعينة ، وعلى هذا الأساس المكين والنمط الواضح أدار الاسلام سياسته ، فأسس معظم قواعده العامة بمكة ، وشرع أكثر الأحكام الفرعية بالمدينة المنورة على منورها أفضل الصلاة وأزكى السلام .

ومن حسن سياسته الداعية ألا يجهر برأيه الصريح في صدر مقاله أو في مقدمة حديثه وانما يبتدىء بما يخفف على المخاطبين سماعه من المعاني الدائرة حول الغرض الذي يرمي اليه ثم يعبر عن المراد بلفظ مجمل ويدنو من ايضاحه شيئا فشيئا حتى لا يفصح عنه الا وقد ألفته واستساغته نفوسهم ، وهدأت له خواطرهم ، وعلى هذه الطريقة جرى ذلك المؤمن من آل فرعون ، فقد كان يكتم ايمانه وهو يحب أن يظهره ويدعو قومه الى مثله ، لكنه كان يخشى من التصريح بعقيدته لما رأى عليهم من آثار وبوادر الغضب وحب الانتقام منه ومن أمثاله حتى اغتنم وقت اجماعهم على قتل موسى عليه الصلاة والسلام واهتبل فرصة التنكر له ولمن آمن معه وقام ينكر عليهم هذه المؤامرة المخزية وتخلص الى أن دعاهم الى الايمان بما بعث به هذا الرسول دعوة ظاهرة ، قال تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟ وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟)(٩٨) نعم فاتحهم بالانكار على قتله وهو لا يدل على أنه مصدق برسالته ، اذ قد ينهى العاقل عن سفك دم الرجل أو اضطهاده ، وهو من أبغض الناس اليه ، تألما من مشهد الظلم والاستبداد أو حذرا مما ينشأ عنه من فتنة ، ودل بقوله (أن يقول ربي الله) على ما لهذا الرجل من فضل في العمل وثبات على العقيدة ، وأومأ الى أنه لم يأت شيئا منكرا يستحق به هذه العقوبة الصارمة وذكرهم اذ قال (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أي بالدلائل القائمة على صدقه في دعوى الرسالة ، وقد أخذ

---

* وقيل رابعة النهار .

(٩٨) الآية ٢٨ المؤمن .

يتقرب بهذه الجملة من دعوتهم الى الايمان به ، ولم يرد التظاهر بأنه من شيعته فعزل نفسه عمن جاءهم بهذه البينات وأضاف مجيئها اليهم خاصة ، ثم استرسل في موعظته المنسوجة في أدب الانصاف الى أن صدع ببطلان بخلهم ، ودعاهم الى دين الحق بقوله الصريح ، قال تعالى فيما يقصه عنه (ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار[٩٩] ، وتدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم ، وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار)[١٠٠] نعم قد يسكت المرشد والواعظ والخطيب عن بعض ما يكون حقا ، أو يتعرض له بعبارة مجملة أو ذات وجهين ، اذا لم يساعده الحال على أن يصدع بالحق ورأى ضرر التصريح به أرجح من نفعه · أجل ليس له أن يقول غير الحق بقصد أن يتألف ويتجمع أصحاب النحل والمبادىء الهدامة ، والمذاهب الزائفة ويستدرجهم الى ما يورده بعده ، أو يثبته في حديثه من الحقائق والأدلة الفاضحة الدامغة لمعتقداتهم وأوهامهم · واستحسن المفسر المعروف الامام فخر الدين الرازي هذا الصنيع وهذا الأسلوب وعده من حكمة المتشابه في التنزيل ، وحمل قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام في محاجة قومه الواردة في كتاب الله تعالى (هذا ربي)[١٠١] مشيرا الى النجم ثم القمر ثم الشمس · وقد ذكر المحققون للمتشابه وجوها أظهر من هذا الوجه ، وفهموا قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام على غير هذا التأويل · وهناك حكمة الحكم · وهي أن يسبق الداعية الى العمل بما يأمر الناس ، فقد يكون اقتداء هؤلاء الناس بأفعال المصلح أقرب من اتباعهم لأقواله ، ويشهد لذلك سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في شرع الأحكام فتراه في بعض الأحيان يصرح بالاذن في أشياء فلا يبادرون الى فعلها ويستمرون على الاعراض والاحجام عنها حتى يقررها بالعمل هذا أولا ، وأما ثانيا ـ فانك تراه قد أذن لهم ـ وهم على سفر بالافطار شهر رمضان ، وبقي هو صائما ، فلم يقطعوا صومهم حتى عمد الى

---

(٩٩) (١٠٠) الآيتان من سورة المؤمن ·

(١٠١) الآية ٧٨ الأنعام ·

الفطر فخفوا الى الاقتداء بفعله ، وأفطروا ، وأذن لهم في نكاح من كن أزواجا لأدعيائهم ، فشق عليهم أن يخرقوا هذه العادة ، حتى تزوج صلى الله عليه وسلم بزينب بعد أن فارقها مولاه زيد ، وفي هذا المعنى نزلت آية (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا)[١٠٢] .
أسلوب صحيح في تأليف الجاهلين أو المفسدين أو الشاذين وتهيئتهم الى قبول الاصلاح .

من الأساليب الناجعة المذللة لأسباب الدعوة أمور لا غنى عنها وهي كما يلي :

أ ــ بسط المعروف في وجوههم .

ب ــ التودد اليهم بشيء من حطام الدنيا .

ج ــ مواجهتهم ببسط الوجه والكلام الجميل .

د ــ التواضع لهم لله لا رياء ولا سمعة .

هـ ــ مصافحتهم براحة كريمة بسببها يذهب الغل من قلوبهم لقوله صلى الله عليه وسلم «تصافحوا يذهب الغل من قلوبكم» .

و ــ العطف عليهم في الكربات والشدائد لتلين قلوبهم الى قبول الموعظة .

ز ــ اسداء النصيحة لهم بلطف ودون عنف وليكن نصحك للشاذ منهم على انفراد ودون توبيخ وتقريع كما قال الشافعي رضي الله عنه :

تعهدني بنصحك في انفراد	وجنبي النصيحة في الجماعة
فأن النصح بين الناس نوع	من التوبيخ لا أرضى استماعه

---

(١٠٢) الآية ٣٧ الأحزاب .

ذلك لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن اليها وكما قيل :

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا
اذا أنت أكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

فبهذه الأساليب الناجعة يمهد السبيل لقبول ما يعرضه على الناس من نصائحه وحقا ان النفوس مطبوعة على مصافاة من يلبسها نعمة أو يسدي اليها معروفا ومكرمة أو يفيض عليها خيرا ، ولمثل هذه الحكم الغالية أتى القرآن الكريم على ذكر المؤلفة قلوبهم فقال تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والغارمين ، وفي سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله والله عليم حكيم)[١٠٣] .

متى يكون السكوت عن الدعوة ؟

تسقط فريضة النصح والدعوة الى الحق في موضعين :

أحدهما : أن ينشأ عن الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر مفسدة أعظم وأخطر وذلك ما تقتضيه قاعدة ارتكاب أخف الضررين اذا تعارضا ومن شواهد هذا القول أن النبي صلى الله عليه وسلم كره من الصحابة في المسجد أن يثوروا على الأعرابي الذي بال داخل المسجد حتى قطع بوله من صياحهم وضجيجهم فنهاهم عن ذلك وقال «انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» نعم البول في المسجد حرام وفيه تلطيخ وتقذير لمحل العبادة بسبب نجاسته ، ولكن في قطعه عمن شرع فيه مفسدة أكبر منه ، وهي ما يحدث عنه من علة في البدن (وهي حصر البول) المؤدي الى ضرر الجسم والنجاسة تزال بالماء وذلك أمر لا ضرر فيه ولا صعوبة .

---

(١٠٣) الآية ٦٠ من سورة التوبة .

ومن العلل ما يعجز عنه الطبيب ويتعطل فيه رأيه ، ويخونه فيه الدواء ، واعتناء الاسلام بالمحافظة على سلامة الأبدان غير قليل بل هو واضح معروف فالعبادة في حالة المرض لا تؤدى على وجهها الصحيح ومثل هذا أن يكون مرتكب المنكر والضلالة ممن يطغى على الداعي ويستنكف أن يكون بمنزلة المعرض عن ارشاده أو تذكيره فيأخذه الاعجاب بسطوته الى ارتكاب جهالة ومنكر أفظع مما ارتكبه أولا بقصد اغاظة داعيه الى الخير للمرض المستكن(١٠٤) في نفسه حتى يتظاهر بالغلو في مخالفة أمره ونهيه ٠

قد تقع فتن هناك فقد يترك بعض العامة سنة أو يفعلون بدعة وقد يكون أمرهم بألسنتهم أو نهيهم عن البدعة سبب فتنة في المسجد أو غيره ، وهي مسألة بسيطة لا تتجاوز القلم أو اللسان فاذا شد المصلح قلبه باخلاص وتحرى الأدب جهده ، فلا جرم أن يكون لدعوته الأثر النافذ والعاقبة الحسنة ، وليس السكوت عن صنيعهم أو التمحل في تأويله والفتوى بصحته الا مداهنته وايثاره للخلق على الحق ، ولا يتلبس بهذه الخصلة المنكرة الا قصير النظر أو ضعيف الارادة ٠

نعم لا حق لأحد في كتمان ما فرض الله عليه معرفته معتذرا بالخوف من أن يقع المخاطبون في سوء فهم أو اضطراب فكر ، فان هذا النوع من العلم لا تحار في ادراكه العقول ، وانما يقوم مثل هذا معذرة للسكوت عن الحق الذي لم يكلف الناس بعلمه وذلك ككون السموات من ذهب أو من فضة أو من حجارة فالخلق لا يكلفون معرفة هذه الأشياء ٠

وهناك مسائل خلافية مذهبية وهناك مسائل في الأصول وأخرى في الفروع : لا حاجة الى بحثها كقصة أبوي النبي صلى الله عليه وسلم هل هما من أهل الفترة أم لا ؟ أما الأصول وهي العقيدة الاسلامية فهي

---

(١٠٤) المستكن : المختفي والمستتر ٠

العقيدة الحقة بالاسلام وفرائضه وأركانه وتشاريعه العقيدة بالالهيات والنبوات والسمعيات . وهذه لا جدال فيها ولا خلاف أما المسائل الأخرى الخلافية بين الأئمة والعلماء من متقدمين ومتأخرين فلا حاجة الى بحثها وتشتيت أذهان العامة بها فما علينا الا أن نأخذ بما استقرت عليه أقوال الأئمة الأربعة ولا حاجة لنا الى طرق مذاهب أخرى يقصد منها البلبلة والتزعم والتعصب الذي لا حاجة له ولا داعي للاقتراب منه .

هناك كتب اسلامية في الفقه والخطابة والوعظ والتدريس والارشاد ليس فيها ترديد ولا تعقيد .

قال الامام علي كرم الله وجهه «حدثوا الناس بما يفهمون(١٠٥) ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله» ؟ ومثل هذا حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم بكفر ـ وفي رواية «بجاهلية» لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين باب يدخل الناس وباب يخرجون والذي تحاشاه وتحاماه عليه الصلاة والسلام أن يظن بعضهم ـ لقرب عهدهم بالاسلام ـ أنه غير بناء الكعبة لينفرد بالفخر عنهم .

« الأمر الثاني في لزوم السكوت »

أن يوقعه الأمر أو النهي في بلاء ، ويلحق به ضررا ماديا جسيما وأدبيا فادحا وقد عد الامام الغزالي من هذا البلاء الاستخفاف بالداعي على وجه يزري بكرامته وهذا قد يكون عذرا في انصرافه عن دعوته طائفة خاصة عرف منها هذا الخلق اللئيم الذميم ، مع أنه لا يصح أن يكون عذرا في الاحجام والاعراض عن دعوة الأمة الى صالح الأعمال وان وجد فيها طائفة تطلق ألسنتها بسباب المصلحين والداعين ، وتباهتهم في المجامع أو الصحف بغير حساب .

---

(١٠٥) نهج البلاغة .

اتخذ بعض المروجين والمغرضين هذا السباب والمباهتة سلاحا يشهرونه في وجوه المصلحين ، في وجوه من يعترضون دعايتهم ويسفهون أعمالهم وأحلامهم ويقابلونهم بالانكار ، ولو كان مثل هذا الأذى يجيز لأهل العلم أن يخلوا سبيلهم ويغمضوا أعينهم عن منكراتهم وتماديهم وجرأتهم على الباطل لسرت تلك الدعاية سريان السم الناقع ، أو سريان النار في الهشيم ، ولوثت هذه الفطر السليمة برجس الغواية ، ولا مرية في أن بلية الاغواء أشد ايلاما لعقلاء الأمة وأسوأ عاقبة من أن تنهش أعراضهم بألسنة حداد ·

ويرى الشيخ ابن عرفة وكثير من العلماء أن خوف الداعية العزل من منصبه لا يعد عذرا يسقط عن الدعاة فريضة النهي عن المنكر لما ورد (ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقصرا أجلا ولم يقطعا رزقا) واذا كان هناك أحد ممن لا يرجون لله وقارا قد يدعوه الحرص على مركزه ومنصبه لينال سمعة طيبة وصيتا فاخرا الى أن يذود عن المصلحة العامة ويزدري الولاية ولا يبالي أن يصبح فارغا من عمله مجردا من قلادة ولايته · أفلا يليق بل أفلا يجدر بأهل التوحيد الخالص والايمان الراسخ ما داموا يستيقنون أن الله يرزق الداعي الى الحق والاصلاح من حيث لا يحتسب ـ أن يكونوا أزهد الناس في المنصب أو المركز الذي يطوي ألسنة العلماء عن قول الحق أو يحملهم على مجاراة سلطان أم كبير أو رئيس لا ينهي النفس عن الهوى ·

فاذا اعتقد الداعي الى الحق بما يناله من عذاب وبلاء فهو في سعة واختيار من تحمل الأذى أو طلب السلامة فان شاء أخذ بالعزيمة «الواجب الديني أو المفروض عليه شرعا» ورفع صوته بالدعوة الى الاصلاح ، وان شاء تمسك وأخذ بالرخصة (اللامبالاة) تلكم التي يستمسك بها المستضعفون من الرجال والنساء ·

«نفر من علماء الاسلام مضرب الأمثال»

الى قيام الساعة

لقد آثر جماعة من علماء الاسلام لقوة غيرتهم وحرصهم على العدل وشديد رغبتهم في عمل الصالحات أن يأخذوا ويحافظوا على كرامة العلم والعلماء ظلوا مثابرين على الجهر بالنصيحة والوعظ والارشاد ذاكرين قول الله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)(١٠٦) واضعين نصب أعينهم قول المرشد الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم)(١٠٧) وما ذلك الا لقوة غيرتهم على العدل وشدة رغبتهم في عمل الصالحات لقد أخذوا بالعزم وحافظوا على الجهر بالارشاد ولو كره المجرمون والمفسدون جهرهم بالحق ، وأذاقوهم من ألوان جورهم عذابا أليما ، ومن مواقفهم في هذا الشأن أن السلطان اسماعيل والى الافرنج سلم لهم (صيدا) وغيرها من الحصون لينجدوه على الملك نجم الدين أيوب فأنكر عليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ العلماء هذه الفعلة الخائنة فغضب عليه السلطان وعزله عن مناصبه ، وأمر باعتقاله ، ثم بعث اليه من يعده ويمنيه لعله يرجع عن انكاره ويرضى ، فجاءه الرسول وقال له : (تعاد اليك مناصبك وزيادة وما عليك الا أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير) وما كان جواب العز بن عبد السلام سلطان العلماء الا أن قال له : (والله ما أرضاه أن يقبل يدي فضلا عن أن أقبل يده ، يا قوم أنتم في واد وأنا في واد) .

---

(١٠٦) الآية ١٠٤ آل عمران .

(١٠٧) رواه البخاري ومسلم والترمذي .

ما هي العلل التي أهملت الدعوة بسببها ؟

غريب جدا وعجيب أن يعرف الرجل مناهج الصلاح ، ويبصر طائفة من قومه يتهافتون على عماية أو يهيمون في جهالـة ، ولا تنهض بـه الهمة ليعمل على ايقاظهم واطلاعهم على معالم فوزهم ونجحهم ؟؟

ما هو منشأ هذا التقصير ؟

اذا حاولنا البحث عن أسباب ومنشأ هذا التقصير ، ورجعنا البصر كرتين ، وجدنا مدار علته الفاترة ترجع الى عشرة أسباب :

السبب الأول : المداهنة ، فمن أهل العلم (ولا أعتقد أنه من أهل العلم) من يرى ذا جاه أو رياسة يهتك ستر الأدب أو يعثو في الأرض فسادا فيتغابى عن سفهه أو بغيه ويطوى دونه التذكرة والموعظة ابتغاء مرضاته أو حرصا على مكانة أو غنيمة ينالها على يديه ، ومن البلية أن المترفين ومن ينحو نحوهم في الزيغ والغرور لا يكتفون ممن يسوقه الزمن الى نواديهم أن يسكت عن جهلهم ، ويتركهم وشأنهم ، وانما يرضيهم منه أن يزين لهم سوء عملهم أو يرمقهم بعين مكحولة بيتسم الاستحسان وهو أقل شيء يستحق به في نظرهم لقب حسن ظريف .

والمداهنة خلق قذر لا ينحط فيه الا من خف في العلم وزنه أو من نشأ نشأة صغار[١٠٨] ومهانة ، وهذا تاريخ العلماء الراسخين ناطـق بما كان لهم من الاقدام على وعظ الأمراء والانكار عليهـم اذا أساؤا التصرف أو أهملوا قال عز الدين بن عبد السلام للسلطان نجم الدين أيوب في مجلس حافل برجال الدولة : يا أيوب ما حجتك عند الله اذا قال لك : ألم أبوىء لك ملك مصر ثم تبيح الخمور ؟ فقال : هل جرى هـذا فقال : نعم ، الحانة الفلانية يباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات ،

(١٠٨) الصغار بالفتح الذل والضم وكذا الصغر بضم الضاد .

وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة • فقال : هذا أنا ما عملته ، هذا من زمان أبي فقال أنت من الذين يقولون:(انا وجدنا آباءنا على أمة)(١٠٩) فرسم السلطان بأبطال تلك الحانة (أي أمر بالغاء ما فيها) جاء ذلك في طبقات الشافعية لابن السبكي •

نعم ان السلطة السياسية تنتقل أطوارا ، وأن موقف العلماء أمام الأمراء يختلف على قدر ما يكون للعالم من مكانة في قلوب الأمة ، وعلى قدر ما يكون للأمير من حماقة أو أناة واختلاف السياسة أطوارا أو اختلاف مواقف العلماء أمام الأمراء انما يقتضي أن يكون لكل طور سياسي أو لموقف كل عالم أسلوب في الدعوة يطابق مقتضى الحال والأمر الواقع ، أما أصل دعوة المسؤولين الى حق أو عمل صالح ففريضة قائمة ، وعز الدين بن عبد السلام هو أحد علماء هذا العصر في احتمال أمانتها ووجوب تحرير الذمة بأدائها على حد سواء •

الثاني : ضعف الجأش وقلة الصبر على المكاره ، وهو خلق يقطع لسان صاحبه عن قول الحق مخافة ألا يرتضي بعض الناس قوله فيضمروا له البغضاء ويسوموه أذى أو تهكما :

وكم سقت في آثارهم من نصيحة
وقد يستفيد البغضة المتنصح

هذا وقد تعرض الكتاب العزيز لخصلة الاستهزاء بالمرشدين ونبه على أنها عادة مألوفة وأذى يعترض طريق كل مناد بالاصلاح ، قال تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون)(١١٠) وقد يقص علينا القرآن من بذائهم ومكرهم

---

(١٠٩) آية ٢٢ الزخرف •

(١١٠) الآيتان من سورة الحجر •

ما يصح أن يكون من حكمة تسلية الدعاة وتأكيد عزمهم على مواصلة الدعوة وقلة الاكتراث بما يلاقونه من شغب واساءة ، فاذا لقي رسل الله عليهم الصلاة والسلام من سفهاء القوم أذى كثيرا فأغمضوا عنه وداسوه بأقدامهم فلا يسع غيرهم ممن يريد الخير لأمته الا أن ينصح لهم ويفتح في طرق الهداية أبصارهم ولا يبالي بمن ينغض اليه رأسه ساخرا ، أو يطلق فيه لسانه لامزا .

الثالث : كثير من الحاكمين من تجنح بهم أهواؤهم عن ناحية العدل لا يرقبون لفضيلة العفاف عهدا ، فيكيدون لكل ما من شأنه الدعوة والاصلاح لكيلا يتعرض لسيرتهم أو يتطاول على نقد سياستهم ، وهذا الضرب من الاستبداد يلقي في النفوس الضعيفة حذرا بالغا ويقلب العارفين بطرق الاصلاح الى حال الغافلين عنه فتراهم ينظرون الى الفساد يتقلب في البلاد كأنهم لا يبصرون قد يعذر أمثال هؤلاء في عدم التعرض لأحوال الرؤساء المستبدين حيث اعتقدوا أن خوضهم فيها يسوقهم الى عقوبة لا طاقة لهم بها ، ولا عذر لأحد في الصمت عن التذكير جملة الا اذا بلغ هؤلاء المستبدون أن يضعوا عقوبتهم على ظهر كل من ينهى عن منكر ، ولو لم يكن له صلة بسياستهم الخاطئة ، ولعلك لا تجد في أنباء الدول من يتخبطه شيطان الاستبداد حتى يسطو على كل من ينطق بالحكمة والموعظة وواجب العلماء أن يقوموا بالاصلاح والارشاد في دائرة الامكان .

الرابع : أن يغلو العالم في الورع فيأبى الذهاب الى حيث يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر حذرا من أن يغشى نادي منكر ، أو يختلط بصاحب ضلالة .

الخامس : أن يقوم الواعظ بالارشاد فلا يجد ممن فيهم الكفاية مساعدا ، وربما أدخلوا في قلبه اليأس وسدوا باب الأمل في وجهه

معتمدين على دعوى فساد الزمان وعدم افادة النصيحة عند غلبة الفساد، وهو الخاطر الـذي يسر أعداء الأدب أن يستقر في نفس كـل مؤمن فيجدوا من خمول أهل العلم وكسلهـم ما ينشط بهـم الى أن ينادوا الى الخروج على الفضيلة وهم آمنون ٠

السادس : أن يجد العالم في سيرته سيئة أو سيآت فتلقى في نفسه الذلة والرهبة ويترك الارشاد حذرا من أن يلمزه بها الناس حين يقوم بينهم مقام الواعظ الأمين والعادة من أن يخرج للناس في ثوب مرشد وقد علقت بسيرته وصمته لم يلبثوا أن يذكروه بها وينشدوه :

يـا أيهـا الرجـل المعلـم غـيره … هـلا لنفسك كـان ذا التعليـم

ابدأ بنفسك فانهها عـن غيهـا … فاذا انتهت عنـه فانت حكيـم

لا تنـه عـن خلق وتأتي مثلـه … عار عليـك اذا فعلـت عظيـم

فينبغي للعالم أن يكون ذا نفس زكية ، وساحة نقية ، حتى لا يكون الخلل في سيرته كالشجا يقف له في لهاته ، ويمنعه من هداية المسرفين ، وعلى أي حال كان لا يليق به الاحجام عن الارشاد والتوجيه كما قيل في حق من يعرف المنكر ويقارفه (ينبغي لمدير الكاس أن ينكر على الجلاس) يعني أنه لو فرض أن رجلا شاءت الأقدار أن يرتكب منكرا ومعروف عنه أنه لا يرضى به فعليه أن ينكره على الناس ولا يجوز له بحال أن يترك النهي عن المنكرات اذا كان يأتي بعضها لسوء التقدير ولعدم معرفة ما يترتب على ارتكابه في العاقبة بل عليه أن ينكر ذلك على فاعليه منبها لهم ومحذرا عما وقع الناس فيه فان ما يعرفه له الناس من زلل قد يصرف عنه وجوه العامة ويقعد بهم عن سماع موعظته ، أما الخاصة فربما انتفعوا بدعوته الموصلة بالحجة الدامغة أو بيان الحكمة الصائبة ٠

السابع : قد تنشب العداوة بين الرجل والفئة الباغيـة الجاهلـة فتمسك لسانه عن نصيحتهم وانذارهم ليتمادوا في ضلال ويتساقطوا

على عمل يهوي بهم في مكان سحيق وقد خادعت هذا اليائس نفسه فرمت به في غش وساقته الى التهاون بواجب النصيحة ٠

الثامن : قد تفيض الرأفة والشفقة على فؤاد الرجل وتطغى على حبه للاصلاح فترده عن نهي شخص فيه كلفة ٠ أجل الشفقة أو الرأفة هي كسائر المناقب والفضائل التي اذا أفرط منها الانسان في موطن الاصلاح خرجت به الى الضعف والى مالا يسمى فضيلة وقد حذرنا القرآن عن مثل هذه الرأفة وعن مثل هذه العاطفة الطاغية فقال تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)[١١١] ٠

فالحدود والنظم والقوانين انما وضعت لحفظ مصالح العباد واستيفاء الحقوق لهم ومنهم كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم خطبته في مستهل خلافته (القوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق والضعيف منكم قوي عندي حتى آخذ له الحق) ٠ فيجب ألا يكون للرأفة الداعية الى الاخلال بشيء من اقامتها أثر يرى فقد ورد فيما أخرجه ابن جرير في تاريخه عن سالم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله وخاصته من بيته فقال : اني نهيت الناس اليوم عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير ، وأقسم بالله لا أجد أحدا منكم فعله الا أضعفت عليه العقوبة لمكانه مني ٠

التاسع : أن يكون المستحق لأن يوجه اليه الداعية أمره أو نهيه مثل أب مطاع أو معلم ذي فضل فيبلغ به الحياء منه والاحترام لمقامه أن يصمت ولا يتكلم في دعوته المثمرة بنسبته الى جهالة أو خطيئة وفيما قصه الله علينا من موعظة ابراهيم عليه الصلاة والسلام لعمه آزر

---

(١١١) الآية ٢ النور ٠

وتسميته أبا ، ما يرشدنا الى أن الأبوة لا تمنع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والا فأبو ابراهيم (تارح) ولكنه نزله منزلة أبيه في أدب الخطاب ولطف الحديث أكثر مما يستحقه غيره ٠

وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام واتباع الأول للثاني بصفة مسترشد ومتعلم ، ثم انكاره عليه خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار عبرة للمعلمين والمتعلمين فللمتعلمين حق الانكار على معلميهم وعلى المعلمين ألا يستنكفوا عن بلوغ الفائدة من متعلميهم (والحكمة ضالة المؤمن) ٠

العاشر : ترك بعض أعمال الخير حذرا من أن يخالط قصده أو نيته الرياء وحب السمعة والشهرة بين الناس فيقلص ويقلل نور اخلاصه ، ويفوته ثواب الله في الدار الآخرة وهذه علة نادرة ولا أدري هل بقي لها أثر في بعض الدعاة أم لا ؟؟! فترك الدعوة بمثل هذا الوسواس ورع بارد خادع وما على العارف بالاصلاح الا أن يجاهد نفسه ويأخذها بأدب وحكمة واخلاص ما استطاع الى ذلك سبيلا والحذر من الرياء تجاه فائدة الدعوة المرجوة الى عمل صالح آخر (ملغاة لا حساب لها في عداد المصلحين) ٠

هأنت ذا ترى تلة[112] نشأت في مجتمعنا الحاضر وهي أن الذين في قلوبهم زيغ أو مرض أو الحاد أو نفاق قد وجدوا من القوة المادية وسلطان الدول الأجنبية المستعمرة ما يزين لهم نشر دعاياتهم الهازلة الباطلة فصادفت من بعض الأحداث المخدوعين أفئدة هواء فعششت فيها وباضت وفرخت وأخذ الالحاد يدرج ويجري على ألسنتهم بلا مبالاة أمام الدعاة والمرشدين بلا حساب ولا تقدير ظانين أن مثل ذلك من العلم والجهر بالحق ، صاروا يدعون الاجتهاد وليس عندهم زاد يدعون

---

(112) جماعة ٠

العلم وهم منه براء (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا)[113] برز الالحاد على لعابهم وقالوا أمرا منكرا من القول وزورا قد بدت الاختلافات على ألسنتهم وصفاقة المجان بادية بارزة على وجوههم وما تخفي صدورهم أكبر ، لذا فان أهل العلم يرون أن مثل هذه الأمور يبثها بعض أدعياء العلم ليجعلوا لهم مكانة بين الناس (خالف تعرف) وهي فتنة لم يسبق لها مثيل فيما سلف الا من طائفة الخوارج الاثنتي عشرية فيهاب الداعية ايقاظها ويخشى سطوتها ويحسب لها حسابا فيذوب أمامها ويوليها ظهره يائسا قانطا .

ولو علم هذا الداعية والداعي الأثر المؤسف الذي تركه ولم يأبه له لما أحجم عنها بل أقدم عليها اذ أنه لو علم ما هذه الفتنة الا جولة باطل (أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)[114]

نعم انها جولة باطل يتوكأ على قوة مادية الحادية لا مستند لها ولا دليل ولا برهان فمتى لقي هذا الباطل في سبيله الحقائق الدافعة تكتنفها البينات والبراهين ذهب جفاء ولا أثر له في نفوس يذهب المنطق الصحيح بين جهالتها وشهواتها ضائعا غير موجود .

« الأثر السيء الذي ينجم عن ترك الدعوة »

قد يترك الداعية الأمين موعظة الناس لأنه يرى من ليس أهلا للوعظ أو من يلبس ثوب الاصلاح وهو مستغل هدام مقداح يطعن في أعراض الناس ويبهتهم ويصفهم بما لا يستحقون وهم غافلون ، نعم قد يترك الخطابة أو الخطبة أو المحاضرة لظهور أناس مدفوعين لايقاظ فتنة من فئته تدعي الاسلام وتدعي الحق تدعي أنها صاحبة حق لتطفيء نور هذا الخطيب أو الداعية المرموق فتقف على المنابر وفي

---

(١١٣) الآية ٥ الكهف .

(١١٤) آية ١٧ الرعد .

حلقات الدروس واضعة للناس دواء مزعوما ما هو في الحقيقة الا داء يظهرون بمظهر الاصلاح ألسنتهم أحلى من عسل السكر وقلوبهم أمر من الصبر المر هؤلاء الذين في غنى عن ارشادهم ليتهم لم يوجهوا ليتهم لم يقفوا دعاة اصلاح وارشاد ليتهم لم يقفوا موجهين ولا مصلحين ومن العجيب بل من العجب العجاب أنك ترى رجلا متخرجا من كلية كافرة تبشيرية ظاهرها فيه شبه الرحمة وباطنها من قبله العذاب عليها طلاء الاصلاح ودهانه مختضبا بمادة الكيمياء والطبيعيات فلأمر ما وسر غامض فما هي الا أيام واذا به يقف داعيا ومبشرا في الاسلام يدعو الناس الى انطلاق العلم من المساجد ودور العلم يتصدر للعلم والتوجيه بصفته مسؤولا وقد يقول في توجيهاته نريد أن ينطلق الاصلاح الديني من المساجد وينتهي بدور العلم والجامعات ليت شعري فمن أين له هذا ؟ ومن أين جاء هذا ؟ المنطلق التبشيري المزخرف ؟؟ ومن العجيب العجيب أنك لترى المداهنين والمروجين يروجون دعوته ويؤيدون فكرته وهو من أساسه خلو من دعوة الاسلام فهو وأمثاله مأجورون لدى دول أخرى كما ثبت في الوثائق الرسمية ، فالدعاة عندما يرون أمثال هؤلاء تؤيدهم جهات مسؤولة يتقاعسون عن الدعوة في اطار محمود ومكان محدود وزمان محدود تاركين فيه الأمر لله لبينما تعود الفكرة وتدرك العبرة وبينما يصحو كل مفتون بأمثال هؤلاء من الغفلة .

أجل قد ينزوي العارفون بوجوه الاصلاح فيرفع البغي لواءه ، ويبقى اخوان الفساد وقاعدة المكر والعناد يترددون على نوادي المنكرات والبغي يضرب على الأمة الذلة والمسكنة ، والانهماك في المنكرات يميت خصال الخير والرجولة والشهامة ، واذا تفشى وباء البغي والفساد تداعت الأخلاق الفاضلة الى سقوط وانهار صرح الفضيلة الى ضعف وتصبب ماء الحياء من الوجوه ، ووهنت رابطة الاتحاد في القلوب ، وتضاءلت الهمم عن معالي الأمور ، وقلت الرغبة في الآداب والعلوم ، وما عاقبة أمة مصابة بالذلة والاحجام والجهل والتفرق والاختلاف في سبيل البر والتقوى الا الدمار الذي تبتلى به الأمم المتغطرسة الفاشية

الا الويل والدمار كما قال تعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)[115] ٠

ومن أكبر الدمار الذي ابتليت به الأمم الفاسقة أن تقع ناصيتها في قبضة خصمها العنيد وجاء في التنزيل الحكيم ما يفيد أن لمرتكبي فاحشة الظلم والاستبداد عاقبته ووسيلته هي وقوعهم تحت سيطرة الجهلاء بالعواقب الظالمين الباغين قال تعالى (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون)[116] ٠

ولا يحسب الذين ينقطعون عن ارشاد الضالين ووعظ المسرفين أمثال هؤلاء المنافقين المروجين الذين يبثون دعايات خادعة كاذبة تظهر مسؤولهم بمظهر العالم الخبير والناقد البصير مع أنه كيماوي طبيعي استسلامي امعة لا يحسب هؤلاء أنهم بمنجاة ومعزل عن المسؤولية أمام الله لا يظن هؤلاء المقبلون على شأنهم في اصلاح أنفسهم فحسب وترك هؤلاء التائهين لهؤلاء المضللين المدلسين لا يظن هؤلاء أنهم غير مسؤولين أمام الله عن انزوائهم وابتعادهم عن الدعوة مهما كانت الأعذار والأسباب الا اذا كان القيام بالدعوة سبب للدعاة ضررا لاحقا مؤكدا ، هذا وانك لتجد فيما تطالعه من أبناء الأمم السابقة أن الأمة التي يجوس خلالها الظلم والفساد لا تلبث أن تسقط من شامخ عزها فاما أن تقبض عليها يد أجنبية ، واما أن تحل بها قارعة سماوية وما كان من نوع هاتين العقدتين يتناول الأفراد الذين نصحوا لقومهم فلم يقبلوا منهم النصيحة كما يتناول القادرين على الجهر بالنصيحة ولكنهم يجهرونها وورد في الصحيح عن زينب بنت جحش ، قالت : (قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟؟ قال نعم اذا كثر الخبث ٠ وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع أباه (عمر) يقول : قال رسول الله

---

(١١٥) الآية ١٦ الاسراء ٠

(١١٦) الآية ١٢٩ الأنعام ٠

صلى الله عليه وسلم (اذا أنزل الله عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم) ومن البلية في سكوت العلماء عن الجهر بالحق أن العامة يتخذونه حجة على اباحة المنكرات واستحسانها ، فاذا نهيتهم عن بدعة أو سيئة وسقت اليهم الدليل على قبحها ومخالفتها لما شرع الله ! كان جوابهم فعلنا هذا بمرأى أو بمسمع من العالم فلان الفلاني ولم يعترض على أفعالنا بانكار وآخذنا فوائد البنوك بفتوى العلماء وعملنا بالتأمين لاباحتهم له ٠

ومن أثر السكوت على الدعوة والتهاون بالارشاد أن يتمادى المفسدون في لهوهم وغيهم وضلالهم ولا يقفوا في اتباع شهواتهم عند حد أو غاية فتقطع أعين الناس على هذه المناكر كثيرا فتألفها قلوبهم لا سيما اذا كان هنـاك تشاكل وتوافق في الطبائـع والغرائز حتى لا يكادوا يشعرون بقبح منظرها أو يتدبروا سوء عاقبتها ومن أثر هذا أن يقبل عليهـم الحق بنوره الساطع ووجهه الجميل فتنفر منه طباعهم وتجفوه أذواقهم لأول ما يشرف عليها ٠

ومن أثر السكوت عن بيان الحق والجهر به والدعوة اليه أن تثبت هذه الفئة التي تحاول القضاء على الآداب العامة أو الآداب الاسلامية الفاضلة والنظم الحكيمة ، وتهذي باسم هذا جديد وهذا قديم وهذا جمود وهذه رجعية وهذا حميدي وهذا تأخري ليوهموا الناس أنهم في منطلق جديد ولو أنه لا يمت بصلة الى الدين وأحيانا يقولون فلان عصري اذا رأوه يرفع صوته في الخطب التي لا يحسن شيئا منها تراه يدعو الى عصبية جمجمة بلا طحن وجماهيرية وهناك تظهر أنصار الجديد والقديم ، وودوا لو بلغت باخلاصها للقوة التي يعد الاخلاص لهـا جريمة منكرة ان أخذت تدفع بعض شراذمها وأذنابها الى ايذاء الأمة بتضليل أبنائها والطعن في شريعتها ويروجون للناس مـن الاشاعات والدعايات ما يبلبل أفكار عامة الناس ويقولون للناس هذا من أساطين

البحث في الأدب العربي وهذا عميد الأدب العربي وينسون أساطين البحث من واضعي الأدب والتربية كعبد الله بن مالك الأندلسي وسيبويه والخليل وابن جني والمتنبي وابن عصفور واضعي الحكمة والطب والعلوم والفلسفة أمثال ابن سينا والفارابي والامام الغزالي وابن رشد وابن يعيش جاهلين أو متجاهلين قرآنهم ولغة قرآنهم التي لولاها ما كان للأمة العربية أي مفخرة تستحق الذكر والخلود • هؤلاء العصريون يجدون لهم من يناصرهم على باطلهم يفعلون هذا وذاك وهم يعلمون ما فيه من تمزيق الصفوف وتمزيق رابطة الألفة والمودة وصدع بناء الوحدة الراسخة بين الاخوة سائرين على نمط الحزبية والجماعات اللاائتلافية ، يفعلون هذا وهم يعلمون أنهم سيجدون أفكارا ثابتة واعية وأقلاما سيالة تعمل على اصلاح شؤون الأمة ، وتجاهد في سبيل خلاصها مهما كلفها الثمن ومهما صادفت في طريقها وسبيلها من المعوقات كأنهم يبتغون من وراء مشاغباتهم أن تنصرف الفئة الواعية عن تلكم الغاية السامية النبيلة وتقضي الزمن في جدالهم وكشف اللثام عن بنات أفكارهم ونواياهم الخبيثة السيئة ومواقع أهوائهم وهذا ما حصل مع المجاهدين الأولين فقد وقع الحوار بين السيف والقلم مرات ومرات حتى انتصر الحق الصراح على الباطل الهزيل ، واذا كان ضرر مثل هذه الفئات على الحياة السياسية من باب أولى وهو ضرر يساوي ضررها على الحياة الأدبية فان تقويمها وحماية الشعوب من خطرها ووبائها لا يجب على رجال العلم ودعاة الاصلاح خاصة وانما هو حق واجب على كل من يغار على الأدب والنظام واطلاق الشعوب من قيود الاستعباد •

« لاحقة هامة لا يستغني عنها عالم ولا واعظ ولا مرشد »

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي رحمه الله حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد حدثنا فارس بن مردويه حدثنا محمد بن الفضل حدثنا علي بن عاصم (تلميذ أبي حنيفة) رضي الله عنه عن يحيى بن

سعيد عن اسماعيل بن أبي حكيم قال قال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه (ان الله تعالى لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن اذا أظهرت المعاصي فلم ينكروا فقد استحق القوم جميعا العقوبة وذكر رضي الله عنه (أن الله تعالى أوحى الى يوشع بن نون عليه السلام أني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم) فقال (يا رب هؤلاء الأشرار : (فما بال الأخيار) ؟ قال (انهم لم يغضبوا لغضبي وآكلوهم وشاربوهم) وروي ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مروا بالمعروف وان لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه) قال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)[117] فأما الذي يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف فهو من علامات المنافقين كما قال جل ذكره : (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف)[118] وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (أفضل الأعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشنآن الفاسق يعني بغضه) فمن أمر بالمعروف فقد شد ظهر المؤمن ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق) .

وروى سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بمكة فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أنت الذي تزعم أنك رسول الله ؟ قال : (نعم) قال فأي الأعمال أحب الى الله تعالى قال : (الايمان بالله : قال ثم ماذا ؟ قال : صلة الرحم ، قال ثم ماذا ؟ قال : (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال فأي الأعمال أبغض الى الله سبحانه وتعالى ؟ قال : الشرك بالله ، ثم ماذا ؟ قال : (قطيعة الرحم، قال ثم ماذا ؟ قال ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) قال سفيان الثوري رحمه الله اذا رأيت القارىء وفي رواية (العالم) محببا في جيرانه

(١١٧) الآية ٧١ التوبة .

(١١٨) الآية ٦٧ التوبة .

محمودا عند اخوانه فاعلم أنه مداهن) ومعنى هذا أنه مهما رأى من جيرانه واخوانه منكرا أو تهاونا لا يعرض نفسه لانتقادهم فلا ينهاهم عما هم عليه وكثير من الناس يتعلمون العلم الديني لغير وجه الله ليصيبوا به عرضا دنيويا أو جاها أو منزلة في قلوب الناس أو تقربا من الحكام والمسؤولين ليماري بعلمه السفهاء (أي ليجادل) الجهلاء ويباهي ويفاخر به العلماء فهذا النوع من الناس لا يريد وجه الله والدار الآخرة يقول عليه الصلاة والسلام (ان ناسا من أمتي سيتفقهون في الدين يقرأون القرآن والمراد بهم العلماء يقولون : نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا ، ولا يكون ذلك كما لا يجتنى من القتاد الا الشوك كذلك لا يجتنى من قربهم الا الخطايا ٠

وهذا الحديث أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما ٠ ومعنى ذلك أن الاقتراب من قراء الدنيا لا يحصل ولا يفاد منه الا كما يستفاد ويحصد من الشوك (أي من شجر له شوك كشجر الغرقد مثلا كما ورد في الحديث الذي ذكر في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبيء اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله الا الغرقد فانه من شجر اليهود) والغرقد نوع من شجر الشوك وهو معروف ببلاد بيت المقدس والخليل ٠ وهأنت ذا ترى أن اليهود في اسرائيل صاروا يتحصنون بالسويد حول أراضينا لأنه حبيب لهم وما جاورها (باسم العوسج أو السويد) وسيكون هذا ويتحقق قريبا باذن الله حتى ينتصر الحق على الباطل ويقول عليه الصلاة والسلام في البشاشة والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (تبسمك في وجه أخيك لك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وافراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة)(١١٩) ٠

(١١٩) أخرجه البخاري في الادب المفرد والترمذي وابن ماجه وابن حبان في الصحيح ٠

ثم قال وبصرك للرجل الرديء البصر ، لك صدقة وهو الذي لا يستطيع المشي في المكان الوعر ، وكان معرضا للوقوع في حفرة فنحيته عنها لك فيه صدقة . وهذه هي اشتراكية الاسلام الحقيقية النابعة من صميم الشريعة الغراء . وبعد فقد قال الفقيه العامل نصر بن محمد ابن ابراهيم السمرقندي في كتابه « بستان العارفين » اشترط النبي صلى الله عليه وسلم القدرة يعني اذا كانت الغلبة والدولة والصولة لأهل التقى والصلاح فالواجب على أولى الأمر أن يمنعوا أهل المعاصي من المعصية اذا أظهروها لأن الله تعالى مدح هذه الأمة بذلك فقال (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)* فالمعروف هو ما كان موافقا للشريعة والعقل السليم الذي لا يتصور المستحيل في الممكنات والمنكر ما كان مخالفا للكتاب والعقل ...

الأمر بالمعروف لا تجوز فيه المداهنة ولا المجاملة يقول عليه الصلاة والسلام (مثل المداهن في حقوق الله تعالى والواقع فيها والقائم عليها كمثل ثلاثة رجال كانوا في سفينة فاقتسموا منازلهم وصار لأحدهم أعلاها ولأحدهم أوسطها ولأحدهم أسفلها فبينما هم كذلك اذ أخذ أحدهم القدوم فقالوا له ما تريد ؟ قال أخرق في مكاني خرقا فيكون الماء أقرب الي ويكون فيها مخلاتي ومهراق مائي فقال بعضهم أتركوه أبعده الله يخرق في حقه ما شاء وقال بعضهم : لا تدعوه يخرق السفينة فيهلكنا جميعا ويهلك نفسه ، فان هم أخذوا على يديه نجا ونجوا وان هم لم يأخذوا على يديه (أي لم يمنعوه) هلكوا وهلك .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو أخياركم وفي رواية (خياركم) فلا يستجاب لهم . وفي رواية في نهاية الحديث أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم . رواه البزار والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه . وعن

---

* ١١٠ آل عمران .

قال (اذا هابت أمتي أن يقولوا وفي رواية (أن تقول للظالم أنت ظالم فتودع منهم أو منها • وفي رواية فقد تودع منها •

وعلى العالم بالحكم الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر أن يكون رحيما بالمسترشدين في أكثر أحيانه والا في مواضع تنتهك فيها الحرمات يجب أن يغلظ في القول ولا يبالي فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انتهكت محارم الله علا صوته واحمر لونه وانتفخت أوداجه كأنه منذر جيش صبحكم مساكم (وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) وليكن على بصيرة مما قاله المولى جل وعز (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين)(١٢٠) •

وعلى الواعظ أن يقصد بوعظه وجه الله والدار الآخرة ان أجره الا على الله لا يريد من الناس جزاء ولا شكورا قاصدا اعزاز دين الله فاذا ما فعل ذلك نصره الله تعالى ووفقه وأعزه ، أما اذا كان وعظه لحمية نفسه والتشفي بالناس أو كان قاصدا اظهار نفسه وفلسفة منطقه خذله الله تعالى ولا بأس بايراد حادثة (أي قصة) سواء أكانت واقعية أم لا ، ويعنينا منها المغزى الذي نفيده منها فلا يضيع عند الله عمل عامل مؤمن من ذكر أو أنثى فالعالم المخلص الأمين العامل لا ينقص من أجره شيء في الحياة وبعد الممات كذلك المتصدق بصدقة جارية كذلك من غرس غرسة حميدة فرزقه الله ولدا صالحا يكون مقتديا به في اثاره وأعماله في حياته وبعد مماته يدعو لوالده بعد انتقاله من دار الفناء الى دار البقاء فلا ينتظرن عالم أجره من الناس فانهم مهما منحوه من الأجر منوا عليه ولكن يبقى أجره من الله الذي يداه مبسوطتان ولا يبخل بالعطاء أخرج الامام أحمد في مسنده والطبراني في المعجم الكبير عن أبي امامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت : من مات مرابطا في سبيل الله ، ومن علم علما أجري له علمه ،

---

(١٢٠) آل عمران آية ١٥٩ •

ومن تصدق بصدقة فأجرها يجرى له ما وجدت ، ورجل ترك ولدا صالحا فهو يدعو له) لقد وعدتك أخي أن أذكر لك قصة ذات مغزى صالح لتأخذ منها العبرة فأقول ورد عن عكرمة رضي الله عنه أن رجلا مر بشجرة تُعبد من دون الله تعالى يعني أنه وجد حولها أشخاصا يعبدونها من دون الله فغضب غضبا شديدا وقال كيف تعبد هذه الشجرة من دون الله ؟ ثم انه أخذ فأسه وتوجه نحو الشجرة ليقطعها بيده فقابله ابليس عليه لعنة الله في الطريق على صورة انسان فقال له الى أين ؟ فقال رأيت شجرة تُعبد من دون الله عز وجل فعاهدت الله أن أتوجه نحوها فأقطعها فقال له ابليس اللعين : مالك وللشجرة دعها تسبح الله ودع من يعبدها أبعدهم الله تعالى دعهم ليوم الحساب فتخاصما وتضاربا ثلاث مرات وفي كل مرة يغلب الرجل شيطانه فلما عجز ابليس عن اقناعه ولم يرجع ولم يسمع لقوله ولما ضاقت به السبل قال للرجل الذي يهتم بازالة المنكر الذي رآه ارجع معي وأنا أعطيك كل يوم ما يكفيك ترفع كل يوم طرف فراشك فتأخذ ما يكفيك من المال فقال الرجل المهتم بازالة المنكر أو تفعل ذلك ؟ قال نعم ضمنت لك ذلك كل يوم فرجع الرجل الى منزله فوجد ذلك صحيحا مدة يومين أو ثلاثة أو ما شاء الله فلما أصبح بعد ذلك رفع طرف فراشه فلم ير شيئا ثم صبر يوما آخر فلم ير شيئا أيضا فلما رأى ذلك أخذ فأسه فلقيه ابليس اللعين مرة ثانية على صورة انسان وكثير من الناس من يشبه ابليس في أقواله وأفعاله ومخادعته فقال للرجل الى أين تريد يا هذا ؟ قال أريد أن أقطع شجرة تُعبد من دون الله فقال له ابليس هيهات هيهات تالله انك لا تطيق فعل ذلك ولن تستطيع أبدا ذلك لأن خروجك أول مرة كان خالصا لله تعالى وكان غضبك لله فلو اجتمع عليك أهل السموات والأرض ما ردوك وقد سحرك المال فردك عن الله وأما الآن يا هذا فانما كان خروجك انتقاما لنفسك حيث لم تجد المال الذي وعدك شيطانك ولئن تقدمت الآن للشجرة لندقن عنقك فرجع الرجل خائبا خاسرا خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ٠

(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروطهما)

واعلم يا أخي أن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج الى خمسة أشياء :

أولها ــ العلم وبغير علم لا يحصل أمر ولا نهي وكفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه وكفى بالجهل ذما أن يتبرأ منه من نسب اليه فقيل له (انك جاهل) وما أكثر انصاف العلماء وانصاف المتعلمين يريدون أن يفرضوا فرضا على الناس ليفهموا لغتهم ووعظهم وغاياتهم ومآربهم فالعلم زاد العالم ولا بد له من زاد وخير الزاد العلم والتقوى والله تعالى يقول (وتزودوا فان خير الزاد التقوى)[121] وسلاحه الكتب النافعة العلمية والأدبية . اذا فالجاهل لا زاد له وهو ضعيف لا يعرف الأمر بالمعروف ولا يحسنه .

ثانيها ــ أن يقصد بوعظه وجه الله واخراج الجاهلين من الظلمات الى النور كما ذكر ذلك آنفا وأن يقصد اعزاز دين الله واعلاء كلمته

ثالثها ــ الشفقة والرأفة بمن يعظهم باللين والرفق والتودد . فان الرفق ما وضع في شيء الا زانه وما نزع من شيء الا شانه أفلا يعلم أولئك أن الله سبحانه وتعالى لما أرسل موسى وهرون لفرعون وبعثهما اليه واعظين مرشدين قال لهما (فقولا له قولا لينا)[122] .

رابعها ــ أن يكون الداعية صبورا حليما رابط الجأش معتمدا على الله في أقواله وأفعاله فان الله جلت عظمته قال للقمان عليه الصلاة والسلام (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور)* يعني أن ذلك مما أوجبه الله عليك .

---

(١٢١) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

(١٢٢) سورة طه الآية ٤٤ .

* سورة لقمان الآية ١٧ .

خامسها ـ أن يكون عاملا بما يأمر به منتهيا عما ينهى عنه لكيلا يعير به ولئلا يدخل تحت قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم)؟[١٢٣] وتحت قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون)[١٢٤] يعني يا أيها الذين آمنوا الآية ؟ أي ليس شيء أبغض الى الله تعالى من أن تتصفوا بهذا الوصف نزلت في حق من قال : لو علمنا أحب الأعمال الى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا وروى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (رأيت ليلة أسري بي الى السماء رجالا تقرض شفاههم بالمقاريض فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال خطباء أمتك الذين كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون يعني أنهم يتلون كتاب الله ولا يعملون بما فيه .

وروي باسناد الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (أنتم اليوم على بينة من ربكم على بيان واضح من ربكم قد بين الله جل وعلا لكم طريقكم تظهر فيكم السكرتان سكرة العيش (يعني حب الحياة) وسكرة الجهل فأنتم اليوم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون في سبيل الله وستحولون عن ذلك اذا فشا فيكم حب الدنيا فلا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر ، وتجاهدون في غير سبيل الله والقائمون يومئذ بالكتاب سرا وعلانية كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وعن قيس بن أبي حازم قال سمعت أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقول (انكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون)* . واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي لا يغيرونها الا أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب من عنده) وفي رواية (منه) .

---

(١٢٣) سورة البقرة الآية ٤٤ .

(١٢٤) سورة الصف الآية ٣ .

* سورة المائدة الآية ١٠٥ .

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال : (ليس ذا زمان ذلك ولكن اذا كثرت أهواؤهم وألفوا الجدال فعلى كل امرىء نفسه جاء تأويلها أي على كل انسان داع الى الله أن يلزم نفسه وعليه بخاصة نفسه .

تكملة ضرورة معرفة الواعظ ما نزل من القرآن بمكة والمدينة

قال الفقيه نصر محمد السمرقندي رضي الله عنه روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال (نزل من القرآن بالمدينة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام ، والأنفال ، والتوبة والرعد والنحل ، والحج والنور ، والأحزاب ، والذين كفروا ، والفتح ، والحجرات والحديد ، والمجادلة والحشر ، والقتال ، والممتحنة ، والصف ، والجمعة ، والمنافقون والتغابن ، والطلاق ، والتحريم ، ولم يكن الذين كفروا واذا جاء نصر الله ، وقل هو الله أحد والمعوذتان والفلق والناس . وتزل سائر السور بمكة المكرمة وقال بعض علماء التفسير ست آيات من سورة الأنعام وبعض آيات من النحل وبعض من بني اسرائيل (الاسراء) وبعض آيات من سورة القصص وبعض آيات من سورة هل أتى على الانسان ، وآخر سورة الشعراء ، وسورة العاديات مدنية وقال مجاهد فاتحة الكتاب نزلت بالمدينة ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما فاتحة الكتاب نزلت بمكة وهذه رواية أبي صالح .

لامعة :

وهنا لامعة لا بد من اشراقتها وبيانها للوعاظ والمرشدين بعضهم يهجم هجوما كاسحا على تفسير الآيات القرآنية ان المقام جد خطير فتراه يسارع الى تفسير الآية على ما يبدو ويروق له ليقال عنه بأنه عصري يجاري الزمن والعصر مع أنه كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا ألا يرى هذا المرشد على حسب زعمه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه مع جلالة قدره ومكانة قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومعرفته بالناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والمنطوق والمفهوم عندما سئل عن قوله تعالى (وفاكهة وأبا)[125] قال لا الأرض تقلني ولا السماء تظلني ان كنت أقول في القرآن شيئا برأيي) هذا هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ابن الشجري رضي الله عنه مع جلالة قدره ومكانته في التفسير ولكثرة خشيته من الله تعالى اذا جلس يدرس في الأزهر للتفسير تحول عن مكانه وخرج الى (صحن الأزهر) (ساحته المعروفة) خشية أن يخر عليه السقف اذا قال قولا مخالفا لكتاب الله ٠

أولئـك آبائـي فجئنـي بمثلهـم
اذا جمعتنـا يـا جريـر المجامـع

فالعلم يا أخي يحتاج الى خشية من الله (كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء)[126] (ولمن خاف مقام ربه جنتان)[127] فأين هي الخشية منا نحن طلاب العلم اليوم ؟؟ رزقنا الله واياكم الخشية منه والمراقبة له بحق وصدق واخلاص ٠

وهنا كلمة على سبيل الترويح عن النفس كنكتة (سئل أحد المشايخ منذ زمن بعيد وكان يدرس للناس في مكان حافل لا يعرفه الناس من قبل يا أستاذ لم لم يذكر الله البسملة في أول سورة (براءة) كباقي السور فأطرق المسؤول رأسه قليلا فأجاب وليته لم يجب : (هذا نسيان من الذين طبعوا المصاحف أو نسيان من جبريل ، وهنا ضحك الناس وتعالت أصواتهم وتركوا مجلسه وقالوا هذا ليس بعالم نسأله تعالى أن يسترنا ولا يفضحنا وأن يعلمنا ما جهلناه ٠

أما الكلام في سورة براءة : فقد اختلف المفسرون في عـدم ذكـر البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) في أول هـذه السورة فقـد قال

(١٢٥) سورة عبس الآية ٣١ ٠
(١٢٦) سورة فاطر الآية ٢٨ ٠
(١٢٧) سورة الرحمن الآية ٤٦ ٠

بعضهم كان النبي عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه القرآن أملاه على كاتب يكتبه (ممن يعرف الكتابة) فلما أملى عليه سورة براءة نسي الكاتب كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) فبقيت هكذا بغير بسملة ، وقال بعضهم وهو الصحيح سورة براءة نزلت لنقض العهد الذي كان بين المسلمين وبين كفار مكة من اليهود وقتلة الأنبياء والمرسلين ، فلم يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) لأن في كتابة (بسم الله) يكون أمانا لهم ولا قتال فيهم فتركت كتابتها لكيلا يكون أمانا وأصح الأقاويل ما ذكره الفقيه السمرقندي رحمه الله ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال (سألت عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه عن ذلك فقال سورة الأنفال نزلت أول ما قدم النبي عليه الصلاة والسلام المدينة وسورة التوبة نزلت آخر القرآن وقصتهما يشبه بعضها بعضا ، ولم يبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتبه علينا أمرهما أنهما سورتان أم لا ؟ ففصلنا بينهما وتركنا كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) ولكن روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه سئل عن ذلك فقال (لأنها نزلت بالسيف) يعني لنقض العهد .

« عظة هامة »

لا ينبغي لعالم عامل أن يستنكف عن الاستماع من عالم دونه في العلم أو في المنزلة أو في المكانة اذ أن ذلك لا ينبيء عن العمل بالعلم وعليه أن يستمع ممن هو فوقه ليزداد علما وايمانا ويقينا ، وهكذا كان حال العلماء الأولين كانوا قوة في وحدة متكاملة يرجعون الى بعضهم البعض وهم لا يأنفون ولا يستكبرون همهم الوصول الى حق وغاية حق ووجهتهم الحكمة والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها لقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن على أبي بن كعب فتكلم الناس في ذلك فقال بعضهم انما قرأ عليه القرآن ليعلم الناس التواضع لئلا يأنف أحد من التعلم والقراءة على من دونه في المنزلة ، وقال بعضهم انما قرأ

عليه لأن أبي بن كعب كان أسرع أخذا لألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم من غيره ، فأراد النبي عليه الصلاة والسلام بقراءته عليه أن يأخذ أبي ابن كعب ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ كما سمع منه ويعلم غيره • وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب (ان الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك القرآن قال أبي (آلله سماني ؟ قال صلى الله عليه وسلم (نعم) فبكى أبي بن كعب ويروى (أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ عليه (لم يكن الذين كفروا) وقال عليه الصلاة والسلام لأبي بن كعب (ان الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا) الحديث أما بكاؤه رضي الله عنه فبكاء فرح وسرور واستصغار لنفسه عن تأهيله لهذه النعمة واعطائه هذه المنزلة والنعمة فيها من وجهين أحدهما لكونه منصوصا عليه بعينه ، ولهذا قال (وسماني ربي) ؟ معناه نص على تعيين اسمي أو قال (اقرأ على واحد من أصحابك) ؟ قال بل (سماك) فتزايدت النعماء والآلاء •

المنقبة الثانية : قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو سيد الأمة وسيد القراء ويالها من منقبة عظيمة له لم يشاركه فيها أحد من الناس وقيل انما بكى أبي خوفا من قصوره وتقصيره في شكر وتأدية واجب هذه النعمة التي أنعم الله عليه بها •

وأما تخصيصه بهذه السورة بالقراءة فلأنها من قصار السور ومع وجازتها جامعة لأصول وقواعد ومهمات ، وكان الحال يقتضي الاختصار •

وأما الحكمة في أمره تعالى بالقراءة على (أبي بن كعب) فهو أن يتعلم أبي ألفاظه وصيغة أدائه ، ومواضع الوقوف وصيغ النغم لأن الرسول عليه الصلاة والسلام تلقاها من جبريل السفير الأمين وجبريل تلقاها عن رب العزة جل وعلا وليتعلم أبي صيغة النغم فان نغمات القرآن على أسلوب ألفه الشرع وقدره وقرره بخلاف ما سواه من الأنغام المستعملة

في غيره التي تسير مع الايقاعات صعودا ونزولا ، ولكل ضرب من النغم أثر مخصص في النفوس ، فكانت القراءة عليه ليعلمه لا ليتعلم الرسول منه ، وقيل قرأ الرسول على أبي ليبين للناس عرض القرآن على حفاظه البارعين فيه المجيدين لأدائه وليبين لهم لزوم التواضع في أخذ الانسان القرآن والعلم وغيرهما من العلوم الشرعية من أهلها وان كانوا دونه في النسب والدين والفضيلة والمرتبة والشهرة وغير ذلك ولتلقي العلم من أهل العلم واستماعه من أهله أثر كبير جليل في النفوس يدعو الى خفض الجناح للمؤمنين والتواضع للمسلمين ٠

تواضع اذا ما نلت في الناس رفعة
فان رفيع القوم من يتواضع

وقد قيل :

اذا شئت أن تزداد قدرا ورفعة
فلن وتواضع واترك الكبر والعجبا

قيل لعبد الله بن المبارك رضي الله عنه : بم نلت هذا العلم ؟ قال : (بلسان سؤول وقلب عقول) ٠

وقيل لأبي حنيفة النعمان رضي الله عنه كيف وصلت الى ما وصلت اليه من العلم والفقه ؟ قال (ما استنكفت عن المسألة متى كنت محتاجا اليها) ٠ وقيل الحكمة في أمره تعالى بالقراءة على أبي بن كعب لينبه الناس على فضيلة أبي في ذلك ويحثهم على الأخذ عنه وتقديمه في ذلك وكان أبي رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم رأسا واماما مقصودا في ذلك ومشهورا وكان قدوة صالحة في كتاب الله وترتيله وقراءاته وآياته ٠

« أسباب النزول »

على كل داعية ومرشد وموجه ان كان له تأهل وقدرة وطاقة على تفسير بعض آيات الله أن يكون واسع الاطلاع في التفسير وآلاته من

علوم اللغة العربيـــة والبلاغيـــة بشرط أن يكون مستوعبا للتوحيد وتاريخ الاسلام أما من كان خلوا* من الآلات فـلا يستطيع أن يقوم بالمهمات** وعليه قبل كل شيء أن يختار الآية التي تنطوي على الأحكام ويذكر أسباب نزولها وكذلك يفعل في الحديث الذي اشترط بعض أئمة الفقه والحديث تجويده وترتيلـه ولهذين العلمـين الأساسيين شروط وآداب خاصة يرجع اليها في محلها عند الحاجة اليها فكثير من دعاة الوعظ والارشاد من يهمل هذه النواحي ولا يلقي لها بالا فلا يفيد ولا يجيد ولا يثمر .

« سبب تاليف هذا الكتاب وادلة ذلك »

أود أن أسترعي انتباه حملة العلم وحملة الأقلام وقادة الفكر الى أن العلم لا يتحقق لذي رغبة الا اذا أراد الله له ذلك والا اذا جعله من حملة رسالة ربه ولا بد لهذا العلم من خشية ومراقبة وتواضع وبلغة يستغني بها عن الناس فلا يمد يده بل يمد رجله شامخا معتمدا على ربه ولو قلت ذات يده اذ أن العلم يتطلب عفة ونية صالحة والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) وهذا العلم لا يحصل الا بملكتي الاستحصال والاستحضار وكلتاهما لا تحصلان لطالب علم الا اذا مارس العلم ودأب على دراسته منذ بدايته وحداثـة سنه ليكون ذلك مؤنسا له في حياته وبعد مماته اذا كان علما ينتفع به وقد قيل :

مـن رام العلـــم وذاكـــره   حسنـت دنيـــاه وآخرتـــه
فـــأدم للعلـــم مذاكـــرة   فحيـــاة العلـــم مذاكرتـــه

فكتابك يا أخي هـو الجليس الأنيس وعلمك يا أخي هـو رفيق حياتك وسلواك في خلواتك وجلواتك لا سيما في مثل هذا الزمان الذي قل فيه وفاء الأقران ولله در من قال :

أعز مكـان في الدنـا سرج سابـح
وخـير جليس في الزمـــان كتـــاب

* أي فارغا .

** ومن أراد أن يزداد ايمانا ويقينا فليرجع الى الفتاوى الحديثة لابن حجر الهيثمي .

تأكد أيها الأخ : أن هذا العلم لا يهدى لعاص ولا يصل الى جوف العاصي واذا وصل كان حجة على حامله يوم القيامة ولله در الامام الشافعي رضي الله عنه اذ قال :

شكوت الى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني الى ترك المعاصي
وأعلمني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصي

وتأكد تماما أن هذا العلم لا ينال بالثرثرة والتباهي بالزي والمنطق والفلسفة · يقول الله تعالى لأحد رسله (يا يحيى خذ الكتاب بقوة)[128] أي بجد واجتهاد ذلك لأن العلم ان أعطيته كلك أعطاك بعضه وان أعطيته بعضك لم يعطك شيئا وبالجملة فواجب الداعي نزاهة النفس عن شبه المكاسب الدنيوية والاكتفاء بالميسور مما قسم الله من هذه الحياة الدنيا والترفع عن تلك المآرب والمطالب فان شبه المتكسب وهو المتكلف الكسب لو كان عنده ما يكفيه كان آثما ، وكذلك الطلب ذل والأجر أجدر وألزم للداعي من الاثم الذي ينهى عن التسبب به وما أجمل ما قال علي بن عبد العزيز الجرجاني قاضي القضاة حينما رآه الناس مترفعا عن الدنايا والخسائس متواضعا في غير مذلة ساعيا في الحياة من غير تطرف ولا جشع ولا حرص ولا طمع قال رحمه الله :

يقولون لي فيك انقباض وانما ... رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ... ومن أكرمته عزة النفس أكرما
ولم أقض حق العلم ان كان كلما ... بدا طمع صيرته لي سلما
وما كل برق لاح لي يستفزني ... ولا كل من لاقيت أرضاه منعما
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما
أنهنها عن بعض ما لا يشينها ... مخافة أقوال العدا فيم أولما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة ... اذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا ... محياه بالأطماع حتى تجهما

(١٢٨) سورة مريم الآية ١٦ ·

على أن العلم عوض من كل مذلة ومغن عن كل شهوة ، ومن كان صادق النية في طلب العلم لم يكن له همة فيما يجد بدا منه · نسأل الله الكريم أن يغنينا بفضله عمن سواه ·

والداعية المتأمل لا يبغي من وراء علمه الا أجرا ومثوبة عند الله وعليه أن يعمل جاهدا في الحياة بما يناله من جهوده وعرق جبينه ·

وقالوا توصل بالخضوع الى الغنى وما علموا أن الخضوع هو الفقر
وبيني وبين المال شيآن حرما على الغنى نفسي الأبية والدهر
اذا قيل هذا اليسر أبصرت دونه مواقف خير من وقوفي بها العسر

وقيل لأحدهم تطلب العلم وليس في جيبك درهم تنفقه فقال من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم ثم أنشد :

ولست بنظار الى جانب الغنى اذا كانت العلياء في جانب الفقر

وقال غيره :

كذا المعالي اذا ما رمت تدركها فاعبر اليها على جسر من التعب

وقال آخر :

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

فالعلم لا ينال بالعجرفة والكبرياء والترف من الوثير لا ينال ولا يحصل الا بعد الدرس والبحث والنوم على الحصير لا ينال هذا العلم بالمياثر والتباهي والتفاخر ، لا ينال الا بقتل البحث وبقره والاستعانة بالأقلام والمحابر :

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلي طربا لحل عويصة أحلى وأشهى من مدامة ساقي

فالعقل السليم الصافي يؤمن بهذا ويحرص عليه والعكس بالعكس :

ما وهب الله لامرىء هبة أفضل من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فان فقدا فان فقد الحياة أجمل به

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انني أسمع الحديث ولا أحفظه سريعا ولا أعيه فقال له (استعن بيمينك) والمراد من ذلك الحث والحرص على كتابة ما يلقى اليه من العلم فانه أدعى للحفظ وأبلغ في الفهم* .

أما أسباب تأليف هذا الكتاب هي أنني لما ألحت علي وزارة الأوقاف أيام وزيرها الدكتور اسحق وكنت وكيلا للمفتي ، ألحت علي بتمييني مستشارا دينيا عاما لشؤون الوعظ والارشاد ومفتشا عاما لمدارس وخطباء وأئمة مساجد المملكة سبرت غور بعض الخطب والمواعظ والدروس في المساجد فلم أجد لها طعما ولا لذة ولا لونا كلها من الأوراق لا من الأذواق ، والواقع مع أني قبلت هذه الوظيفة على كره مني لأني كنت أخشى العواقب لأن من عادة الأوقاف عدم قبول النصائح .

اذا كنت في كل الأمور معاتبـا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبـه
فعش ماجدا أوصل أخاك فانـه مقارف ذنـب مـرة ومجانبـه
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبـه

وأما الطرف الثاني ممن يعترضون ويهدمون ولا يبنون وينتقدون وياليتهم ينتقدون انتقادا بناء محكما سليما ؟؟؟

وكما قيل :

ثمانون بـان لا يساوون هادمـا فكيف ببـان خلفـه ألف هـادم

وكما قيل :

متى يبلغ البنيـان يوما تمامـه اذا كنت تبنيـه وغـيرك يهـدم

عن العبسي عن أبيه قال : تبنى معاوية بالأبطح مجلسا فجلس عليه ومعه ابنه (قرظة) فاذا هو بجماعة على رحال لهم ، واذا شاب منهم ينشد :

مـن يساجلني يساجل ماجـدا يمـلأ الدلو الى عقـد الكرب

---

* هذا الحديث اخرجه الترمذي في العلم من جامعه عن ابي هريرة رضي الله عنه .

قال معاوية : من هذا؟قالوا عبد الله بن جعفر : قال خلوا له الطريق .
ثم سار فاذا هو بجماعة فاذا فيهم رجل يسأل فيقال له (رميت قبل أن أحلق ، وحلقت قبل أن أرمي يسألونه عن أشياء أشكلت عليهم في مناسك الحج وقالوا له هل هناك ترتيب بين الرمي والذبح والحلق ؟ فأجاب كلا عما يسأل وقال (لا أدري عما يجهل) فسأل معاوية عن الرجل المسؤول في هذه الحلقة ؟ فقيل له هذا عبد الله بن عمر فالتفت الى ابنه (قرظة) وقال : هذا وأبيك يا قرظة الشرف هذا والله شرف الدنيا والدين ، قال ابن الوردي :

أطلب العلم ولا تكسل فما ... أبعد الخيرات عن أهل الكسل
في ازدياد العلم ارغام العدا ... وجمال العلم اصلاح العمل
لا تقل قد ذهبت أربابه ... كل من سار على الدرب وصل

ليتك يا أخي ترى وتبصر وتستقصي : ليتك تعرف وتخبر طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله ليتك ترى أنهم طلبوا العلم اليوم رغبة وانهماكا وتكالبا على الدنيا حرصا على الجاه والألقاب لينالوا عرضا فانيا من الحياة الدنيا وما هي الا متاع الغرور أعاذنا الله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا (اللهم أغننا بالعلم وزينا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وجملنا بالعافية) (اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما) (اللهم اني أسألك علما نافعا وقلبا خاشعا ونورا ساطعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء وأسألك الغنى عن شرار خلقك اللهم اجعلنا ممن علم فعمل وعدل فأمن وأحسن الى من أساء اليه فهو بالخير والسعادة والمغفرة قمن) والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه والتابعين الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا .

وهنا لاحقة هامة

ومن نصب نفسه للناس اماما في الدين ، فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة والطعمة والرأي واللفظ والاخدان .

ومعنى الطعمة : أي وجه المكسب ، يقال فلان عفيف الطعمة ، أي نقي المكسب حلاله ، ومعنى الاخدان : أي الأصدقاء والخلان حتى لا يستضعف صديقا ولا خدنا ٠

كما قيل :

يا مريض الجفون عذبت قلبـــا كان قبل الهوى مريضا سويـــا
لا تحـارب بناظريـك فـؤادي فضعيفـــان يغلبـــان قويـــا

عندئذ يكون تعليمه بسيرته ، أبلغ من تعليمه بلسانه ٠ فانه كما أن كلام الحكمة يونق الاستماع : أي يعجبها ويشفيها ، فكذلك عمـل الحكمة تروق منه العيون والقلوب ٠

ومعلم نفسه ومؤديها أحق بالاجلال والتفضيل من معلم النـاس ومؤدبهم ٠

نصيحة للمستمع

تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ٠ ومن حسن الاستماع امهال المتكلم حتى ينقضي حديثه ، وقلة التلفت الى الجواب ، والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعي ٠ ولا تستعجل بالاجابة قبل أن يتم المتكلم حديثه ٠

لذا شرعت في اتمام هذا العمل وانجازه ، فقد تحمل مؤلفي هذا بعون الله وتوفيقه ما يقرب من عامين رغم ما لاقيته من عقبات وصعوبات في السبعينات ولكن هذا الكتاب لا يستغنى عنه مريد الدعوة الى الله وهو جليس الدعاة والمرشدين وخلاصة وزبدة ما في الكتاب والسنة وأقوال العلماء العاملين ٠

هذا وبفضل الله وكرمه ومعونته قد تم طبع هذا الكتاب المستطاب الجامع لما لا بد منه لكل داع وطالب ومرشد المؤيد بالآيات وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وآثار العلماء وحكمة العلماء وفصاحة الفصحاء وبلاغة البلغاء المشتمل على مهمات مسائل الدنيا والدين التي يجب على

كل عاقل عالم دراستها ومعرفتها والتمسك بها ويلي هذا الكتاب في التأليف والطبع ان شاء الله تعالى كتاب الخطب المنبرية التي ألقيتها في المسجد الأقصى المبارك والتي ألقيتها في المسجد الحسيني الكبير والتي ألقيت في المساجد الأخرى من المملكة وخارجها وفيها بعض الخطب المرتجلة والمخطوطة المسجلة الوافية الكافية لكل راغب في العلم لكل من يعلم ويعرف لكل من يحسن النية سائلا المولى جل وعلا أن يغفر لي ما زل به القلم أو كبا به الفهم فان جميع القراء والكاتبين والمطلعين يعرفون ظروفي الخاصة وما أصابني في استشهاد ولدي الشهيدين الغاليين عبد السلام ومحمد أمين وما أصابني في استشهاد أخي وأخيهم العزيز السيد محمد عزت رحمهم الله جميعا ٠ ان الناس جميعا يعرفون ظروفي وما أصابني وكفاني ما أصابني من نهب وسلب بيتي ومكتبتي التي ربيتها كما أربي أولادي وكفى ما أصابني من نهب وسلب لبيتي في جبل الحسين في بيت أبو عمران الشركسي والاتيان على ما فيه من أساسه أثناء غيابي وأهل بيتي في بيروت للمعالجة والاستشفاء ولم يهتم بموضوعي أحد لا من الدولة ولا من المؤسسات الخيرية والحمد لله الذي لم يحوجني لأحد من شرار خلقه ذلك في حوادث السبعين المؤسفة المؤلمة ٠ وعلى كل فالكمال لله والعصمة لرسوله وقد كان الفراغ من تأليف هذا الكتاب يوم الخميس الواقع في الرابع عشر من شوال سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف من هجرة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم وفق اليوم الثامن من تشرين الثاني لسنة ثلاث وسبعين وتسعمائة وألف ميلادية ، والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ٠

فائدة وبيان وتوجيه لمن أراد أن يكون خطيبا وواعظـا وداعيـا

(الوعظ في القرن السادس وتقدير الأمراء له)

كان بودي أن تكون هذه الملحوظات في صدر الكتاب لكن مسودتهـا ويا للأسف فقدت حتى وجدناها في نهاية طبع الكتاب من بين أخواتها وعلى كل فالعبرة بالخواتيم نسأل الله حسنها ·

كانت مدينة السلام في العصور الماضية (بغداد) تمتاز على غيرها من مدن العالم الاسلامي بكثرة فقهائها المحدثين ووعاظها المذكرين وكان لهم في طريقة الوعظ والتذكير ومداومة التنبيه والتبصير ، والمثابرة على الانذار المخوف والتحذير ، مقامات ، تستنزل لهم مـن الله واسع الرحمة وجزيل الاحسان وتمنع القارعة الصماء* أن تحل بدارهم مقامات خلدت لهم أحسن الذكرى وجميل الأحدوثة قال أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي من أدباء القرن السادس الهجري في رحلته ما محصله فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية وفقيه المدرسة النظامية ، والمشار اليه في التقدم في العلوم حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة اثر صلاة العصر من يوم الجمعة فصعد المنبر وأخذ القراء المشهورون المعترف لهم بالفضل في القراءة على كراسي موضوعة فتوقوا الناس وشوقوهم وأتوا بتلاحين معجبة ونغمات محركة للقلوب مثيرة للأفئدة وأتوا على ذكر القراءات الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم اندفع الامام المذكور وخطب خطبة مؤثرة خطبة سكون ووقار وتصرف في عدة فنون مـن العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل ، وايراد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجويده واتقانه على مذهب من رغب في تجويد الحديث كتجويد القرآن وأتى على معاني الأحاديث بحذافيرها ثم وجهت اليه

---

* الصماء الداهية الكبرى ·

المسائل من كل جانب فأجاب عنها باسهاب واعجاب . ثم دفعت اليه عدة رقاع (أوراق فيها أسئلة) فجعل يجيب عن كل مسألة من المسائل العلمية والفقهية وأعادها لسائليها بعد أن فرغ من مطالعتها والاجابة عنها فنزل من على المنبر وافترق الجمع وكان مجلسه مجلس علم ووعظ ووقار هينا لينا ظهرت فيه البركات والسكينة وأرسلت فيه العبرات لا سيما في آخره فانه سرت حميا وعظه الى النفوس حتى أطارتها خشوعا وفجرتها دموعا وبادر التائبون وقوعا على يده .

أقول وقال أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي الذي تقدم ذكره آنفا شاهدنا وشاهدنا مجالس كثيرة هامة من مجالس العلم منها مجلس العلامة الفقيه الكبير والامام الأوحد جمال الدين أبي الفضائل وكذلك صعد المنبر وجلس القراء أمامه كالعادة وقد قرأ القراء نحو تسع آيات من سور مختلفات سطع بخطبته الزهراء القراء وأتى بأوائل الآيات في أثنائها منتظمات وجعل خطبته على فقرة آخر آية منها في الترتيب الى أن أكملها وكانت الآية (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون)* . وساركعادته في وعظه وارشاده باخلاصه وبلائه** فأرسلت وابلها العيون وأبدت النفوس سر شوقها المكنون وتطارح الناس عليه نادمين تائبين فطاشت الألباب واستولى عليها الوله والذهول واهتزت القلوب ولم تجد للصبر سبيلا ثم أتى أثناء خطبته على أبيات من الشعر النسيب مبرحة بالتشويق بديعة التدقيق تملأ القلوب خشية وزهدا وكان آخر ما أنشده من ذلك وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام وأصابت المقاتل سهام ذلك الكلام :

أين فؤادي أذابه الوجد ... وأين قلبي فما صحا بعد
يا سعد زدني جوى بذكرهم ... بالله قل لي فديت يا سعد

---

* وحميا الكأس أول سورتها وسورة الشراب وثوبه في الرأس .
* المؤمن الآية (٦١) أبلى بلاء حسنا أبدع واغرب .

ولم يزل يردد هذين البيتين والانفعال قد أثر فيه والبكاء كاد يمنعه من الكلام فنزل عن المنبر دهشا وقد أطار القلوب وجلا وترك الناس على أحر من الجمر يشيعونه بالدموع ، وهكذا قال أبو الحسين محمد بن أحمد شاهدنا وعاينا من العلماء عددا لا يحصى ولا يستقصي ٠

(كيف تكون داعيا مثاليا)

أخي العالم أخي الداعية أخي المرشد أخي الموجه أخي الحاكم أخي المسؤول أخي الضابط أخي الجندي مما مر بك في هذا الكتاب عرفت أن الدعوة الى الله في الأصل هي عمل الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ٠ وبما أن السادة العلماء العاملين هم ورثة الأنبياء في هذا الأمر الخطير ونوابهم فهم أمناء الله تعالى على شرعه الحكيم وهم الحافظون لدينه القويم ، والقائمون على حدود الله والعارفون بما يجب له تعالى وما يستحيل في حقه وما يجوز عليه من كمال وتنزيه ٠

لذلك كانوا أئمة الناس وقادة الخلق يسيرون بهم نحو السعادة بما يعلمونهم من أمور دينهم ودنياهم وبما يرشدونهم اليه من التحلي بالفضيلة والتخلي عن الرذيلة ، اعتقد الناس فيهم ذلك وأملوهم له فأحلوهم من أنفسهم محلا لم يبلغه سواهم من العالمين حتى نالوا من قلوبهم مكانة يغبطون عليها وربحوا منزلة تصبو اليها نفوس ذوي الهمة القعساء والفضل السامي الأجل وناهيك بقوم اذا فعلوا لحظتهم العيون واذا قالوا صغت اليهم الآذان واذا وعظوا وعت ما قالوه القلوب اذ ما خرج من اللسان لا يجاوز الآذان وما خرج من القلوب وصل الى القلوب وبون شاسع وفرق واسع بين الحالين نعم اذا حكت ألسنتهم فهم مطمح الأنظار وموضع الثقة والاعتبار والحجة البالغة والبرهان

القاطع والنور الساطع للناس أجمعين (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين)* دعا الى توحيده وطاعته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه واتخذ الاسلام دينا ونحلة** .

حقا يا أخي ليس أحد أعظم شأنا وأسعد حالا ممن جمع بين هذه الفضائل الثلاث فكان موحدا لله تعالى عارفا به عاملا بالخير داعيا الى الله وما هم الا طبقة العالمين العاملين الدعاة الى الله عز وجل من ذوي القلوب الحية والايمان الصادق والاخلاص الصحيح أما نحن المتشبهون بالعلماء زيا وتقعرا في الكلام وشقشقة اللسان فما وصلنا الى درجة طويلب فضلا عن طالب غفر الله لنا سوء أعمالنا .

« ذكـــرى »

ولا ريب أن الله تعـالى ربـط سعادة الانسان في الدنيـا والآخرة بالوقوف عند حدوده وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ـ وأنه السعادة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)*وغني عن البيان أن السادة العلماء العاملين الخاشين من الله قد انفردوا بفهم الأوامر والنواهي ومنهـم وحدهم يتعلمها سائر الناس وأنه بقدر قيام العلماء عـلى حدود الله واتباعهم الأوامر واجتنابهم المنهيات يكون اتباع الأمة واجتنابها فاذا سعادة الأمة في قبضة السادة العلماء صنفان من الناس اذا صلحا صلح الناس واذا فسدا فسد الناس العلماء والأمراء ، ومن هنا كانت وظيفتهم خطيرة جسيمة ومسؤوليتهم عظيمة،وتزداد وظيفتهم خطرا ومسؤوليتهم عظما اذا هم تصدوا للدعوة والارشاد ، لهذا وجب أن تتوافر في الداعي الى الله تعالى الصفات التي مر ذكرها بنا آنفا .

---

* ٣٣ حم السجدة (فصلت) .

** النحلة بكسر النون التسمية والعطية في الصداق والآية تشير الى انـه ينبغي للداعيـة ان يكون صحيحا في دينه وعقيدته مهذبا مستقيما عاملا بعلمه ليكون الناس اليه أسكن والى قبول دعوتـه اقرب .

« دعاء ورجاء وحمد وثناء »

أولا : فليعلــم الداعي أن الله يستجيب الدعــاء اذا كان مستوفيا للشروط كما جاء في الكتاب والسنة ٠

افتتاح الدعاء بالثناء على الله والصلاة والسلام على رسوله وعــلى آله وصحبه لأن الدعاء اذا لم يقترن بهذين الشرطين لا سيما الصلاة والسلام على رسوله عليه الصلاة والسلام فهو محجوب عن الاجابة ٠

ثالثا : أن يكون كسب الداعي حلالا من عرق جبينه ٠

رابعا : أن يكون على ثقة ويقين بالاجابة ٠

خامسا : الدعاء مع الجماعة أفضل من العزلة والانفراد ، وارجع الى قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) ، وقوله تعالى (وقال ربكم أدعوني أستجب لكم)* ، وارجع الى ما ذكره الامام النووي في المجموع في باب الدعاء وارجع الى الأذكار للنووي رضي الله عنه أيضا لتكون على بصيرة من أمرك وهناك كتب أخرى فلك الخيار في مراجعتها ٠

« الدعــــاء »

ما أظن أن انسانا يترسم خطى منهج الدعاء العظيم ويتخلى الله عنه ٠

لقد انتصر المسلمون الأولون وهم قلة وعزوا وقد كانوا أذلة أما نحن فكسرنا ونحن الكثرة الكاثرة التي تعد بالملايين وياللأسف ، أما هؤلاء الأولون فلم يتحقق لهم النصر الا بعد أن وضعوا أنفسهم تحت رعاية ربهم وفي كنفه وحمايته فقادهم كما يشاء ، ووجههم كما يريد.

---

* الآية الاولى من سورة البقرة والآية الثانية من سورة المؤمن ٠

فكم من عقبة لولا الله ما استطاعوا تذليلها وكم من خطوب وكوارث ودواهي فلولا الله ما استطاعوا القضاء عليها فهل يفهم مجتمعنا المسلم هذه الحقائق المشرقة وهل يعلم أن الله وحده هو القادر على أن يقود سفينة الأمة الاسلامية وسط هذا الخضم الزاخر بالأحداث والأرزاء ٠

اذاً فلنرفع أكفنا بالدعاء ولنملأ قلوبنا بالاخلاص والايمان ولنملأ أوقاتنا بالتضرع والابتهال ولنضم الى الاعداد بالسلاح والعتاد قوة الروح التي نستمدها من الدعوات التي علمنا اياها رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتب السنن الجامعة التي وعتها أمته وحشدها رسول الله صلى الله عليه وسلم حشد الجنود في معامعه ومعاركه وأنت أيها المسلم نور بها قلبك وطهر بها صدرك واستعن بالله على توثيق الصلة بينك وبين ربك الذي لا يضل من هداه ولا يخذل من نصره (وما النصر الا من عند الله) وادع بها لأخيك بظهر الغيب ودع أخاك يدعو بها لك ٠

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم) وقال : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ٠ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له) رواه مسلم وأحمد والترمذي ٠

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يا رسول الله : أدع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال : يا سعد (أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة) ومعنى هذا أن يتحرى المسلم تناول الحلال ٠ وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (الدعاء يرفع البلاء) وقال اذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه الدعاء ٠

ملحوظـــات

(هؤلاء هم الذين يستجاب دعاؤهم)

١ ــ المضطر ٠

٢ ــ المظلوم ولو فاجرا ٠

٣ ــ الوالد على ولده ٠

٤ ــ الامام العادل ٠

٥ ــ الرجل الصالح ٠

٦ ــ الولد البار بوالديه ٠

٧ ــ الصائم حين يفطر ٠

٨ ــ المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب ، وهي أسرع الدعوات اجابة ٠

٩ ــ المسلم مالم يدع بظلم أو قطيعة رحم ٠

١٠ ــ التائب من ذنبه ٠

« كيفية الدعـاء »

« أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله حمد الشاكرين والعاقبة للمتقين ، الحمد لله ذي الفضل العظيم ، أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك أو بعفوك مــن عقوبتك أعوذ بك منك أنت كما أثنيت على نفسك لا أحصى ثناء عليك والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك وعلى آلــه وصحبه أللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي اليهـا معادي واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر ٠

أللهم اني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لنا واذا أردت بقوم فتنة فتوفنا غير مفتونين وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني الى حبك أللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال أللهم اني أعوذ بك من الكسل والهرم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار وعذاب النار ومن شر فتنة الغنى وأعوذ بك من فتنة الفقر وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال أللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع ومن نفس لا تشبع ومن صلاة لا تنفع ومن دعوة لا يستجاب لها · أللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها · أللهم تقبل مني ما بذلته من مجهود في ترتيب هذا الكتاب وتأليفه وجمعه وتصحيحه وتحقيقه واجعله خالصا لوجهك الكريم لا لرياء ولا لسمعة ولا لشهرة أللهم اني أسألك انجاز كتاب لا سمعة فيه ولا شهرة ولا رياء الا ابتغاء وجهك الكريم ومرضاتك المتوخاة واني أرجو من جميع من قرأه أو طالعه أو مر به أن يغض الطرف عن هفواتي لما أصابني في أيلول المشؤوم في السبعين وقد قدمت عذري سلفا أول الكتاب والعصمة لله ولرسوله المعصوم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أللهم احفظني بالاسلام قائما ، واحفظني بالاسلام قاعدا واحفظني بالاسلام راقدا ولا تشمت بي عدوا ولا حاسدا ، أللهم اني أسألك من كل خير خزائنه بيدك وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك · وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين · دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ·

المصادر العلمية الدينية والأدبية والاجتماعية التي رجعت اليها عند الحاجة*

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ تفسير القرآن الكريم ـ عدة تفاسير .

٣ ـ أدب الدنيا والدين .

٤ ـ التاج الجامع لأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم .

٥ ـ مفتاح الخطابة والوعظ .

٦ ـ هداية المرشدين .

٧ ـ درة الناصحين .

٨ ـ نصيحة البرية .

٩ ـ نفح الطيب .

١٠ـ أدب الكاتب .

١١ـ أدب الكتاب .

١٢ـ زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم .

١٣ـ جامع بيان العلم وفضله .

١٤ـ من أخلاق العلماء .

١٥ـ الشفاء .

١٦ـ أطباق الذهب .

١٧ـ أطواق الذهب .

١٨ـ الأذكار ـ وفيها أدلة الأدعية .

١٩ـ الرسالة القشيرية .

٢٠ـ كشف الخفاء وازالة الالباس .

---

* لشهرة هذه الكتب لم نذكر مؤلفيها .

٢١ـ كيف ندعو الأمم بعض فقرات - لأبي الأعلى المودودي .

٢٢ـ شذرات من أقوال الدكتور عبد الحليم محمود .

٢٣ـ ايقاظ الهمم في شراح الحكم .

٢٤ـ بستان العارفين للسمرقندي .

كتب اللغة

٢٥ـ لسان العرب .

٢٦ـ القاموس المحيط .

٢٧ـ المعجم الوسيط .

٢٨ـ المصباح المنير

٢٩ـ مختار الصحاح .

والله عليم بذات الصدور .

تقريظ[1]

ولقد تفضل حضرة صاحب السماحة العلامة الشيخ ابراهيم القطان قاضي القضاة ورئيس العلمـاء في المملكة الاردنيـة الهاشمية بهذا التقريظ بعد اطلاعه على هذا الكتاب وما جاء فيه من أدلة وبراهين جزاه الله خير الجزاء .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين ، وصحبه الهداة المهتدين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد فقد خلق الله الانسان وركب فيه طبيعتين مختلفتين احداهما روحانية والأخرى مادية . فالأولى تنزع به الى الترفع من عالم المادة والتنزه عن التورط في تبعاتها ، والسمو بالذات الى الدرجات العلى .

والثانية تدفعه الى التبسط في شهواتها، والتوسع في توفية حاجاتها، والاشتغال بالماديـات ، واستخراج خيراتها والانتفاع بها ، فهاتـان الغريزتان تساعدان على بقاء الشخصية الانسانية وتكميلها واعدادها لخلافة الله في الأرض .

والانسان مضطر لأن يصيب من تلك المادة لحفظ وجوده في هذا العالم . ولا يغفل الروح ويتركها دون أن يعطيها نصيبها حتى تتوازن القوى في طبيعة الانسان ، ويعيش حياة هادئة مطمئنة راضية .

جاء الاسلام والعالم كله يقاسي من الظلم والطغيان والجهـل ، فأرسى قواعده على العلم والعقل والنظر والفكر .

---

(١) يقال في اللغة قرّظ بتشديد الراء فلان فلانا أي مدحه وأثنى عليه وقرّظ الكتاب وصف محاسنه ومزاياه وتقارظا المدح مدح كل واحد منهما صاحبه .

وأول ما فاجأ جبريل به النبي صلى الله عليه وسلم هو قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » فطلب منه أن يقرأ ويتعلم قبل كل شيء ثم كرر ذلك بقوله تعالى : « اقرأ وربك الاكرم[٣] الذي علم بالقلم[٤] علم الانسان ما لم يعلم » الآيات الثالثة والرابعة والخامسة من سورة العلق ٠

فقبل أن يلقنه الايمان والمعرفة بالله طلب منه ان يقرأ ويتعلم ٠ وجاء الاسلام دينا قويا وسطا يحفظ للجسم حقه ، وللروح حقها ٠ « وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين » (٧٧) القصص ٠

تكاد هذه الآية تكون دستورا كاملا للحياة في جميع متطلباتها ٠ فتآخت بذلك مطالب الروح والعقل والجسد لأول مرة في تاريخ البشرية ٠ وجاءت تعاليم هذا الدين الحنيف مطبوعة بطابع هذا التآخي حتى في أقصى مراتب الرفعة الروحانية وأبعد الاشتغال في المادة ٠

فكل من عمل على نفع العباد ، وعمل لاحقاق الحق وازهاق الباطل ، أو تبحر في علم يستفيد منه ويفيد غيره ، أو سهل للناس ما يجعلهم يتوقون الأمراض الفتاكة ، أو يسر عليهم طلب العلم لمعاشهم ومعادهم ٠ وكل عمل يخدم به دينه ومجتمعه ووطنه يعتبر هذا في شرع الاسلام جهادا في سبيل الله ، وتقربا الى الله بافضل ضروب العبادة ٠

هكذا فهم المسلمون الأولون مرامي الاسلام ومقاصده ، فانهم بعد أن تم تبليغ هذا الدين ، وانتقل النبي صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، عكف بعضهم على تدارس كتاب الله ، وبعضهم على نشر سنة رسول الله ، وآخرون على جمع اللغة ، ورجال على تعميم الدعوة الاسلامية في الأرض ، ونفر على النظر في علوم الاوائل وترجمة

كتبها ، وجماعة على التخصص في بعض فروع العلوم الخ ... فكان أثر ذلك كله قيام دولة تمثل أرقى مدنية فاضلة آخت بين الدين والعقل والمادة والروح « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (١٤٣) البقرة .

وكانت نهضة لم يشهد لها التاريخ مثيلا .

ونحن في هذا العصر أحوج ما نكون الى العودة الى ديننا الحنيف ، واحياء تعاليمه ، والسير على هداه ، فقد جرى الناس وراء المادة . وقل اهتمامهم بالروح ونسوا حظهم من الدين . في غمرة هذه الحياة المادية وطغيانها فالحاجة ملحة الى الرجوع الى ديننا ، والعمل على غذاء الروح واعطائها حقوقها ، لنعود الى مجدنا ، ونسترد أرضنا وكرامتنا ونرث الأرض كما أورثها الله أسلافنا .

وقد طلع علينا صديقنا فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عادل الشريف حفظه الله بكتاب جليل القدر ، ، يغذي الروح ، ويفيد الناس في دينهم وينتفع فيه الخطيب ، والواعظ ، والمدرس والطالب وكل من يحب أن يتوجه الى الله ، ويسير على درب الاسلام ، وبين فيه حاجتنا الى دعوة عامة ، عن طريق الارشاد بالتي هي أحسن ، « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . الآية (١٢٥) النحل .

وأن الاسلام حثنا على نشر الدعوة ، وارشاد الناس وبذلك كنا خير أمة اخرجت للناس كما قال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » الآية (١١٠) آل عمران .

وبين كيف يكون التعاون على القيام بالدعوة وان على الناس ان يكون منهم طائفة تتفقه في الدين وتفرغ نفسها لتعليم الناس كما قال تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم » الآية (١٢٢) التوبة .

هذا مع الاخلاص في العمل ، وان الدعوة تكون في اللسان وبالقلم ، وبالتعليم ، مع بيان آداب الدعوة والداعي ويقول : « اذا كان أدب الخطاب يقوم على البراعة في فنون البلاغة ، فان الطريق التي سنأتي عليها انما تقوم محل نظر تطور في أحوال الجماعات أطوارا ودرس سنن الله في الخليقة ، فنعرف كيف يسوس النفوس الجامحة ويردها الى سواء السبيل » .

ومن ألطف الاشياء التي قالها : « من الحكمة في الدعوة ان تخاطب بها الجاهل أو الغافل في خلوة (أي فيما بينك وبينه) ابقاء للستر عليه ، ورغبة في حسن اصغائه اليك ، فان كثيرا من الناس من اذا ألقيت عليه النصيحة علانية أخذته العزة بالاثم وثنى عطفه عن الاستماع اليها والامتثال بها .

وبين في الكتاب المطالب السامية في المجتمع وكيفية الدعوة اليها ، وأتى بنصوص كثيرة صحيحة السند ، وأمثلة غنية بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأقوال سديدة من الأئمة والعلماء الصالحين ، وبين كيف يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروطهما .

وان كتاب « النبراس الوهاج » كتاب مفيد في بابه غني بما حوى من حكم ومواعظ وارشاد « لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » . وأن هذا العمل نوع من الجهاد في سبيل الله .

فللأستاذ الفاضل منا الشكر ، وله من الله الأجر .

والله من وراء القصد وهو الهادي الى سواء السبيل .

عمان في ٢٤ من شوال سنة ١٤٠٠هـ

الموافق ٤/٩/١٩٨٠

توقيع

ابراهيم القطان

الفهـرس

المؤلـــف

الشيخ محمد عادل الشريف

خريج الجامع الأزهر الشريف

حاز منه على الشهادة العالمية وشهادة القسم العالي النظامي في الأزهر اللتين عودلتا من قبل مشيخة الأزهر بالشهادة العالمية المصرية المؤقتة العاليـة التي كانت أعلى شهادة في الأزهر وبالشهادة العالمية المصرية النظامية العالية ، وهمـا تخولانه القيام بالقضـاء الشرعي والافتـاء والوعـظ والارشـاد والخطابة ، وهي شهادات جامعية عالية ، وذلك بموجب قرار فضيلة شيخ الأزهر حسب القانون رقم ١٠٣ تاريخ ١٨ جمادى الأولى لسنة ١٣٩١هـ ، وفق ١١ يوليـو (تموز) لسنـة ١٩٧١م وقرار الجامعة الأزهرية بموجب قرار أمين عام الجامعة تاريخ ١٥/٥/١٩٦٥م ؟

دقق الكتاب وروجع من قبل المؤلف

م م م

م م

م

السعر دينار واحد
خدمة للعلم والعلماء

نبذة عن
حياة المؤلف العمليـة

ان الشيخ محمد عادل الشريف مؤلف كتاب النبراس الوهاج كان بالاضافة الى عمله أمينا للفتوى بالقدس عضوا في هيئة كبار العلماء بارادة ملكية سنيه من المغفور لـه الملك عبد الله بن الحسين . وبعد النزوح الى عمان بعد حرب حزيران عين خطيبا للمسجد الحسيني الكبير في عمان ووكيلا للمفتي العام ومستشارا لوزارة الأوقاف بموجب كتاب صادر عن وزير الأوقاف اسحق الفرحان ثم نقل الى دائرة قاضي القضاة وعين قاضيا شرعيا مستشارا لسماحة قاضي القضاة بارادة سنية من جلالة الملك الحسين المعظم ، علما بانه كان قبل التحاقه بالمحاكم الشرعية مرشحا لتدريس الدين في الكلية العربية بالقدس في دائرة معارف فلسطين من قبل مفتش الدين آنذاك سماحة المرحوم الشيخ حسام الدين جار الله بعد تخرجه من الأزهر الشريف ، ثم انه كان مديرا لمدرسة الفتح الاسلامية في الخليل ، وقد التحق بالمحاكم الشرعية في عهد الانتداب حتى كان رئيسا للكتاب ووكيلا للقضاء في عدة محاكم شرعية شغلها آنذاك وفي الستينات كان مديـرا ومؤسسا للمعهد العلمي الاسلامي في المسجد الأقصى المبارك في القدس مدة ست سنوات وهو على رأس عمله أمينا للفتوى وخطيبـا ومدرسا للمسجد الأقصى وأيضا في السنوات نفسها كان أستاذا في كليات اللغة العربية في جامعـة الرياض لآل الشيخ ، وقـد عاد في السبعينات الى دائرة قاضي القضـاة سلك المحاكم الشرعيـة وهو الآن مدير ومؤسس دور الفقـه والحديث في عمان ـ الخليل ـ وبيت حنينا ـ قضاء القدس وغزة وغيرها . وبالله التوفيق .

جمعية عمال المطابع التعاونية ـ عمان